روايات عالمية للجيب 73

الرجل الخفى

تأليـــــف : هــ . ج . ويلـز
ترجمة وإعداد : د . أحمد خالد توفيق



المؤلف



لا يجادل أحد فى أن الأديب البريطانى (هربرت جورج ويلز) عبقرى أضاف الكثير حتى على مستوى لغتنا اليومية وثقافتنا . لقد صار مفهوم آلة الزمن والرجل الخفى وحرب العوالم مستقرًا فى خيالنا وتعبيراتنا . ليس هذا أول لقاء لنا معه فقد قابلناه كثيرًا من قبل ، وأعتقد أنه من الضيوف الذين لا يُملّون فى هذه السلسلة .

ولد ويلز عام 1866 وتوفى عام 1946 ، وهو خليط من أديب كبير وفيلسوف ومفكر سياسى ومستقبلى ومعلم أحياء .

عرفنا أنه والفرنسى جول فيرن هما الأبوان الشرعيان لأدب الخيال العلمى .. وهناك أب ثالث يضيفونه باستمرار هو الناشر الأمريكى (هوجو جيرنسباك) ، لدرجة أن جوائز أدب الخيال العلمى يطلق عليها اسم (هوجو) .

جول فيرن يهدف للإثارة والدقة العلمية فقط ، بينما ويلز أقرب للفيلسوف الذى يحاول أن يتنبأ بمستقبل البشرية ويضـع الكثير ما بين السطور ، بحيث لا ينتهى أى كتاب من كتبه لدى انتهاء قراءته . إنه يبقى معك طويلاً ..

هناك لمسة تشاؤمية واضحة فى أدب ويلز مع خوف عارم على مستقبل البشرية ، لكن هناك كذلك لمحة من التفاؤل . يقول فى مزيج من الجد والسخرية : كلما رأيت شخصًا بالغًا على دراجة ، قل خوفى على الجنس البشرى !

كما قلنا ، ولد ويلز عام 1866 فى مقاطعة كنت بإنجلترا لأب صاحب حانوت وأم تعمل خادمة . فى سن الرابعة عشرة عمل بائعًا لدى تاجر أصواف . وقد وصف هذه الفترة فى روايته (كيبس ــ 1905) . عام 1883 ظفر بمنحة دراسية فى مدرسة العلوم بلندن وهكذا بدأت حقبة جديدة من الاهتمام بالعلم فى حياته ، ودرس علم البيولوجى كما درس نظرية داروين مع (هكسلى) . إن تأثير هـذه الفترة واضح فى قصـته (جزيرة الدكتور مورو ــ 1896) التى قدمناها فى هذه السلسلة .

فى العام 1891 تزوج ابنة عمّه وهى زيجة لم تطل ؛ لأنه تعلق بإحدى تلميذاته وتزوجها عام 1895 . فى نفس العام كتب رائعته (آلة الزمن) و(الزيارة الرائعة) و(العصوية المسروقة وحوادث أخرى) . ثم قدم (الرجل الخفى) عام 1897 ، وهى القصة التى نقدمها اليوم . القصة ممتعة بلا شك وقد صارت من كلاسيات أدب الرعب وأدب الخيال العلمى معًا ، وبعض مشاهدها حفر للأبد فى خيال القراء ، كما تفننت السينما فى تقديمها مرارًا بكل أساليب الخدع السينمائية ، ولعل آخر فيلم لم يقتبس القصة ولكن تأثر بها هو (الرجل الأجوف) . فقـط نذكرك بما قاله الكاتب العلمى السوفييتى ياكوف بريلمان عـن إن الرجل الخفى لو وجد لكان كفيفًا تمامًا ؛ لأن شبكيته لن تحتوى طبقة الخلايا الصبغية ؛ ولهذا فحتى الأسماك الشفافة تمامًا كالزجاج تظل عيونها السوداء مرئية . فيما عدا هذا هناك محاولات علمية ناجحة لجعل معامل انكسار الأنسجة الحية مماثلاً لمعامل انكسار الهواء .

عام 1901 قدم ويلز (أول رجـال على القمر) و(توقعات) . وفى ذلك الوقت انضم للحركة الاشتراكية الفابية ، لكنه تركها بعد مشادة مع برنارد شو أهم قادة الحركة

من أهم كتبه غير القصصية (تاريخ قصير للعالم ــ 1922) .

فى العام 1946 توفى ويلز فى بيته بلندن ، وهو يمر بحالة عدم يقين شديدة تجاه الجنس البشرى الذى يبدو أنه صمم على تدمير ذاته .. إن تفكير من ماتوا قبل الحرب العالمية الثانية يختلف جذريًا عمن ماتوا بعدها . وقد توقع أن تكون العبارة التى يتركها على شاهد قبره هى : « لقد أنذرتكم .. أيها الأغبياء ! »

د . أحمد خالد

الفصل الأول

وصول الرجل الغريب

جاء الغريب فى فبراير فى يوم مطير ، يشق طريقه عبر ريح قارسة وثلج منهمر . جاء ماشيًا من محطة برامبلهيرست حاملاً حقيبة سفر صغيرة فى يده المغطاة بالقفازات . كان ملفوفًا من رأسه لقدميه وكانت حافة قبعته تغطى كل بوصة فى وجهه ، ما عدا أرنبة أنفه اللامعة .. وكان الثلج قد احتشد على كتفيه وصدره .

مشى مترنحًا نحو حانة (العربة والخيول) وهو أقرب للموت ، فطوح بحقيبته وصاح :

ــ « نار !.. باسم الأخوة البشرية .. غرفة ونار ! »

وراح ينفض الثلج عن نفسه فى البار ومشى خلف مسز (هول) إلى قاعة استقبال الضيوف . أشعلت مسز هول النار وتركته هناك ، ثم ذهبت لتعد وجبة بيديها . أن يتوقف ضيف فى (إيبنج) فى الشتاء لحظ غير متوقع . بالإضافة لهذا هو ضيف لا يهوى المساومة ، وقد صممت أن تظهر أنها تستحق حظها الحسن . فمـــا إن نضـــج اللحـــم وتم توبيخ مساعدتها الكسول

(ميلى) ببعض عبارات الازدراء المنتقاة بعناية ، حتى حملت الأطباق والأكواب إلى قاعة الطعام لتضعها بدقة عالية . وبرغم أن النار كانت متأججة فقد اندهشت لما وجدت أن ضيفها ما زال بالمعطف والقبعة يقف ناظرًا من النافذة إلى الثلج فى الفناء . ولاحظت أن الثلج الذى يسيل منه يتساقط على سجادتها . فقالت :

ــ « هل لى أن آخذ معطفك وقبعتك يا سيدى لأجففهما فى المطبخ ؟ »

قال دون أن يستدير :

ــ « لا .. »

كادت تكرر سؤالها فاستدار وقال لها :

ــ « أفضل الاحتفاظ بهما .. »

ولاحظت أنه يلبس عوينات ضخمة تخفى عينيه ، كما أنه يرفع ياقة معطفه عاليًا فيخفى عنقه وذقنه بالكامل .

ــ « كما تحب يا سيدى .. سوف تصير غرفتك دافئة حالاً .. »

لم يرد فشـــعرت بأن محادثتها معـــه كانت ســـيئة التوقيت . غادرت المكان للمطبخ وعندما عادت كان ما زال فى مكانه كأنه قُدَّ من حجر . وضعت البيض واللحم ونادته :

ــ « الغداء جاهز يا سيدى .. »

قال لها :

ــ « شكرًا .. »

ولم يتحرك حتى أغلقت الباب .

ثم استدار واتجه للمائدة بسرعة .

إذ كانت فى المطبخ سمعت صوتًا يتردد على فترات منتظمة : تشيرك .. تشيرك .. صوت ملعقة تحتك بإناء . راحت تعد المستردة وهى توجه للفتاة (ميلى) بعض الصفعات اللفظية لبطئها الشديد . لقد أعدت كل شىء بينما الفتاة ما زالتْ متعثرة فى إعداد المستردة . انتهت من الطهى فحملت تلك المستردة إلى قاعة الطعام ودقت الباب ثم دخلت ..

هنا تحرك الزائر بسرعة فرأت للحظة شيئًا أبيض يتوارى خلف المائدة . يبدو أنه كان يلتقط شيئًا من الأرض . رأت أن معطفه معلق على المقعد فهمَت بأن تأخذه مع القبعة ، لكن الرجل قال وهو ينهض وبصوت مكتوم :

ــ « دعى هذه القبعة .... »

نظرت له فوجدت أنه رفع رأسه وكان ينظر لها .

للحظة وقفت تنظر له مفتوحة الفم مندهشة عاجزة عن الكلام .

كان يحمل قطعة قماش لفها أسفل وجهه ليخفى فمه وذقنه تمامًا . لكن لم يكن هذا ما أخاف مسز هولز بل حقيقة أن رأسه فوق العوينات كان مغطى بالضمادات البيضاء .. بالواقع لم يكن هناك جزء عار من وجهه سوى طرف أنفه الوردى . كما أن الضمادات جعلت صوته مكتومًا مخيفًا .. كان هذا يفوق تخيلها لذا توقفت للحظة متصلبة . ومن جديد كرر :

ــ « اتركى هذه القبعة .. »

بدأت أعصابها تتعافى من الصدمة التى تلقتها ، فوضعت القبعة من جديد جوار النار وقالت :

ــ « آسفة يا سيدى . لم أعرف أن ...... »

وتوقفت فى ارتباك .

ــ « شكرًا .. »

قالها فى برود وهو ينظر نحوها ثم إلى الباب ثم لها .. قالت :

ــ « سأجففها يا سيدى .. »

وأخذت الثياب معها . وقبل أن تخرج نظرت لرأسه المغطى بالضمادات .. ارتجفت للحظة وهى تغلق الباب خلفها . وهمست لنفسها :

ــ « لم يسبق لى أن .... »

ثم دخلت بخفة إلى المطبخ . وأنساها الانشغال أن تلوم ميلى .

جلس الضيف يصغى لصوت خطواتها .. وواصل الطعام . مضغ مضغة ثم راح ينظر خارج النافذة ومضغ مضغة أخرى .

قالت مسز (هول) فى المطبخ :

ــ « البائس أصيب فى حادث أو أجرى جراحة .. لشد ما أثارت هذه الضمادات رعبى .. »

ثم فردت ثياب الرجل فوق حامل فوق الفحم المشتعل .

ــ « وعويناته .. بدا لى كأنه يلبس بدلة غطس أكثر منه رجلاً حيًا .. وذلك المنديل على فمه طيلة الوقت .. يتكلم عبره .... »

واستدارت كأنها تذكرت فجأة .. وصاحت فى الفتاة :

ــ « ألم تنهى هذه البطاطس بعد يا ميلى ؟ .. »

عندما عادت لترفع الأطباق ، خطر لها أن الرجل بالتأكيد جرح فاه كذلك ، فقد كان يدخن الغليون وقد لف أسفل وجهه بالضمادات . كان جالسًا فى الركن وظهره للنافذة وقد شعر بالدفء والشبع ، فبدأ يتكلم بعدوانية أقل . وأضفت النار حيوية حمراء على عويناته كانت تفتقدها .

قال لها :

ـ « لدى بعض حقائب فى محطة (برامبلهيرست) .... »

وسألها كيف يجلبها وراح يصغى لشرحها . بدا متضايقًا عندما قالت له إن هذا مستحيل قبل الغد .. اندمجت فى محادثة على الفور تحكى له فيها كيف أن الطريق منحدرة ، وقد انقلبت عربة هناك منذ عام ومات رجل هو والسائق .

ـ « الحوادث تقع يا سيدى .. أليس كذلك ؟ »

لكن الضيف لم يكن ممن ينجذبون للمحادثة بهذه السهولة . قال من وراء كمامته وهو يرمقها عبر عويناته :

ـ « بالفعل .... »

ـ « يحتاجون لوقت طويل كى يتعافوا .. هناك ابن أختى (توم) .. قطع ذراعه بمنجل وقضى ثلاثة أشهر فى المستشفى . فليرحمنى الله .. لهذا أخاف من أى منجل أراه .. »

قال الضيف :

ـ « يمكننى فهم هذا .. »

ـ « أختى تخاف على أطفالها .. وكانت هناك ضمادات كثيرة يا سيدى .. ضمادات يجب وضعها وضمادات يجب نزعها .. فلو كان لى أن أعلق لقلت ..... »

ـ « هل لديك بعض الثقاب ؟ »

قالها الضيف فجأة :

ـ « لقد انطفأ غليونى .... »

توقفت فجأة .. بالتأكيد كان هذا فظًا منه بعد ما قالت له ما قالت . نهضت وجلبت له الثقاب فقال باقتضاب :

ـ « شكرًا .... »



واستدار وراح يحملق خارج النافذة من جديد . شعرت بالإحباط . يبدو أن الكلام عن الجراحات والضمادات ضايقه . على كل حال ضايقتها خشونته وقد صبت غضبها على الخادمة ميلى عصر اليوم .

ظل الضيف فى قاعة الاستقبال ذلك اليوم حتى الرابعة دون أن يسمح لأحد بالتدخل فى شئونه . فقط ظل جالسًا فى الظلام يدخن وأحيانًا بدا أنه يغفو وهو جالس .

أحيانًا كنت تسمعه يمشى فى الغرفة ويبدو أنه كان يكلم نفسه ، ثم كان المقعد يئن عندما يعود للجلوس .

الفصل الثانى

انطباعات مستر تيدى هنفرى الأولى

فى الرابعة كان الظلام قد خيم ، وكانت مسز هـــول تـــستجمع شجاعتها ما إذا كانت ستذهب لتسأل ضيفها إن كان يريد شايًا . جاء تيدى هنفرى الذى يصلح الساعات للبار ..

قـــال :

ـ « بالله يا مسز هـــول .. هـــذا طقس ردىء بالنسبة لهـــذا الحذاء الخفيف ! »

وكان الثلج بالخـــارج ينهمر بغزارة . وافقته مسز هـــول ثم لاحظت أنه يحمل حقيبته . فقالت :

ـ « هو كذلك .. من فضلك يا تيدى ما دمت هنا ، فلم لا تلقـــى نظرة على الساعة العتيقـــة فى قاعة الاستقبال ؟.. إنهـــا تـــدور وتدق جيدًا ، لكن عقرب الساعات متصلب عند رقم ستة .. »

واقتادته إلى قاعة الاستقبال فدقت الباب ودخلت . كان زائرها يجلس على شيزلونج أمام النار غافيًا وقد مال رأسه لجنب . لم

يكن من ضوء سوى النار التى أضاءت عويناته كإشارات السكة الحديد . كل شىء كان معتمًا غير واضح بالنـسبة لهـا ، لكـن للحظة خيل لها أن فم الرجل مفتوح عن آخره .. فمًـا واسـعًا يشغل نصف وجهه الأسفل بالكامل . كان انطباعًا للحظة ثم حرك الرجل رأسه ..

فتحت الباب أكثر ليغمر الضوء الغرفة فرأته بوضوح أفضل . لقد خدعتها الظلال .

قالت :

ـ « لو سمحت يا سيدى .. هذا السيد يريد أن يرى الساعة .. »

نظر لها وتكلم بطريقة شبه ناعسة :

ـ « يرى الساعة ؟.. بالطبع .. »

واعتدل فى جلسته وتمطى . دخل تيدى الغرفة ليجد نفسه أمام هذا الرجل الملفوف بالضمادات ، وكما قال فيما بعد فقد (شُـده) . قال له الغريب :

ـ « مساء الخير .. »

بدا لتيـدى للحظـة كأنه كابوريا بسـبب العوينات الضـخمة . فقال له :

ـ « أرجو ألا يكون هذا تطفلاً .. »

ـ « على الإطلاق ، برغم أننـى فهمـت أن الغرفـة لـى .. لاستعمالى الخاص .... »

قالت مس هول :

ـ « لكننى حسبت أنك يا سيدى تفضل أن يعنى أحد بالساعة .. »

ـ « هذا يسعدنى بالتأكيد .. »

ثم استدار نحو نار المدفأة وقال :

ـ « حتى ينتهى إصلاح الساعة ، فلسوف أكون راغبًـا فـى بعض الشاى .... »

ثم سألها عن حقائبه فقالت إنها أبلغت ساعى البريـد ، ولـن تصل الحقائب قبل الصباح .. قال لها :

ـ « كان على أن أشرح أننى باحث علمى ، وفـى حقـائبى أدوات وأجهزة علمية .. لهذا أنا متلهف على الحصول عليها .. »

ـ « لك هذا يا سيدى .. »

قال فى تأن متعمد :

— « سبب قدومى إلى (أيبنج) هو .. رغبة فى الوحدة .. لا أريد أن يضايقنى أحد فى عملى .. بالإضافة لهذا هناك حادث .... »

قالت مسز هول لنفسها :

— « فكرت فى هذا .. »

— « ... يستوجب أن أستريح .. أحيانًا تؤلمنى عيناى بحيث أضطر للجلوس ساعات فى الظلام .. وما زال دخول غريب للغرفة مصدر إزعاج عنيف لى .. »

— « سوف أتأكد من هذا يا سيدى .. »

بعد ما غادرت مسز هول الغرفة ، وقف ينظر للنار بينما راح مستر هنفرى يصلح الساعة .

نزع العقربين ثم فك آليات الساعة كلها ، وراح يحاول أن يعمل بأبطأ سرعة ممكنة . كان المصباح جواره وكان يلقى ضوءًا أخضر على يديه والآلات ، بينما ظلت الغرفة فى الظلال .

كان بطبعه فضوليًا لذا قام بعمل ما لا ضرورة له ، بغرض تأخير رحيله وربما تبادل محادثة مع الغريب . لكن الغريب ظل

هناك صامتًا ثابتًا وهذا أرهق أعصاب هنفرى . كلما رفع رأسه رأى الرأس الملفوف بالضمادات والعوينات وقد أحاطت به بقع ضوء خضراء . وأدرك هنفرى أن الرجل ينظر له مباشرة .. بمعنى أنهما كانا يتبادلان النظرات . كان موقفًا محرجًا فعلاً .

هل يقول إن الجو بارد بالنسبة لهذه الفترة من السنة ؟.. هنا جاء الصوت البارد فى غضب مكتوم :

— « لم لا تنتهى وترحل ؟.. من الواضح أن كل المشكلة هى تثبيت عقرب الساعات على محوره .. ومن الواضح أنك (تهمبك) .. »

— « بالطبع يا سيدى .. »

قالها هنفرى وهو يرحل .. لكنه كان يشعر بضيق شديد . واتجه للقرية عبر الثلوج المنهمرة وهو يقول لنفسه :

— « اللعنة !.. ألا يستطيع المرء النظر لك أيها القبيح ؟.. لو كان رجال الشرطة يبحثون عنك ، لما كنت ملفوفًا أكثر من هذا .. »

عند ركن (جليسون) قابل مستر (هول) .. الزوج الجديد لصاحبة حانة (عربة وخيول) التى يقيم فيها الغريب . وكان يقود عربة النقل الجماعى الخاصة بالبلدة ، قال له :

ــ « كيف الحال يا تيدى ؟ »

ــ « عليك أن تهرع إلى دارك .. »

أوقف هول العربة وتساءل :

ــ « ماذا ؟ »

ــ « رجل عجيب يقيم فى حانة (العربة والخيول) .. »

وراح يصف لهول كل شىء عن الضيف الغريب :

ــ « يبدو تنكرًا .. عندما يقيم رجل تحت سقفى فأنا راغب فى رؤية وجهه .. لكن النساء يثقن بالأغراب دائمًا .. لقد أعطته غرفة دون أن تعرف حتى اسمه !.. والأسوأ أنه سيقيم لفترة ومتاعه قادم غدًا كما قال .. »

وحكى لهول كيف أن عمته فى هاستنجز خدعها غريب يحمل حقيبة فارغة . هكذا ترك هول غارقًا فى الشكوك .. فقال لجواده :

ــ « هلم يا فتاة .. يجب أن أرى هذا .. »

لكنه إذ عاد لزوجته تلقى الكثير من التوبيخ لأنه أمضى وقتًا طويلاً فى (سيدربريدج) ، ولم تعبأ بالرد على أسئلته الكثيرة .

لكن بذرة الشك التى زرعها تيدى نمت فى عقل مستر هول أكثر ، وقد قرر أن يستقصى شخصية الضيف فى أقرب فرصة ممكنة .

بعد ما رحـــل الغريب لغرفة نومه ــ فى التاسعة والنصف ــ هرع مستر هول بسرعة لقاعة الاستقبال وراح يتفقد الأثاث الخاص بزوجته ، وفى ازدراء تفحص مجموعة من الحسابات الرياضية تركها الغريب .

عندما دخل الفراش ليلاً طلب من مسز هول أن تفحص متاع الغريب بدقة عندما يصل .

قالت له مسز هول :

ــ « فلتعن أنت بأمورك وأنا سأعنى بأمورى .. »

كان الغريب بلا شك طرازًا غير مألوف ولم تكن مستريحة له فى عقلها . وفى قلب الليل صحت بعد كابوس رأت فيه حشدًا من الرءوس البيضاء كاللفت تطاردها ولها عيون سود واسعة . تناست مخاوفها وتقلبت وغاصت فى النوم ثانية .



الفصل الثالث

ألف زجاجة وزجاجة

هكذا فى التاسع والعشرين من فبراير عند بدء ذوبان الجليد ، سقط هذا الغريب على قرية إيبنج من اللامكان . وفى اليوم التالى جاء متاعه .

كان هناك صندوقان بالإضافة لصندوق كتب .. كتب سميكة بعضها كتب بخط يد لا يمكن قراءته . وكانت هناك صناديق مليئة بالقش وتحوى أنابيب زجاجية كما وجد مستر هول . ظهر الغريب نافد الصبر وقد ارتدى معطفه وقبعته وقفازيه ، ليلقى عربة (فيرنسايد) . لم يلحظ الغريب كلب فيرنسايد الذى كان يتشمم قدمى (هول) فى شغف .

قـــال :

ــ « هلم بهذه الصناديق .. لقد انتظرتها ما يكفى .. »

وهبط الدرجات قاصدًا مؤخرة العربة كأنما هو يريد حمل الصناديق الأصغر . ما إن رآه الكلب حتى انتصب شعره وازداد شراسة ، ثم وثب بسرعة قاصدًا يده ..

صرخ هول وتراجع لأنه لم يكن بطلاً إذا تعلق الأمر بالكلاب ، لكن فيرنسايد صاح :

ــ « ارقد !! »

وقبض على سوطه .

كانت أنياب الكلب قد مزقت القفاز ثم سمعا ركلة ، ووثب الكلب هذه المرة على سروال الغريب وسمعاه يتمزق . هنا هوت نهاية سوط فيرنسايد على الكلب ، فتراجع هذا مذعورًا وهو يعوى فى حسرة ليتوارى تحت عجلات العربة . لقد تم هذا فى نصف دقيقة . لم يتكلم أحد بل صرخ الجميع .. نظر الغريب لقفازه الممزق وسرواله ثم هرع عائدًا إلى الحانة . وسمعاه يسرع إلى غرفة النوم .

تسلق فيرنسايد جانب العربة والسوط فى يده وصاح :

ــ « أيها المتوحش !.. تعال هنا ! »

وقف هول يرقب الموقف وقال :

ــ « لقد تلقى عضة .. من الأفضل أن أذهب لأراه .. »

ثم هرع يلحق بالغريب . وقابل مسز هول فى الممر فحكى لها ما حدث . ثم صعد لغرفة الغريب بالطابق العلوى فكان بابه مواربًا . فتحه ودخل دون إنذار . كانت الستائر مسدلة والغرفة سيئة الإضاءة . هنا خيل له أنه يرى شيئًا يتحرك .. ذراعًا من غير يد تلوح له .. ووجهًا يتكون من ثلاث بقع بيضاء غير محددة كأنها زهرة بنفسج شاحبة . ثم تلقى ضربة قوية فى صدره فتراجع للخلف وانغلق الباب فى وجهه .

تم كل شىء بسرعة لدرجة أنه لم يجد الوقت ليلاحظ . وسرعان ما وجد نفسه فى المدخل المظلم يتساءل عن حقيقة ما رآه .

بعد دقيقتين لحـــق بالمجموعـــة الصغيرة التى احتشدت عند مدخل الحانة . هناك كان فيرنسايد يحكى للرجال ما حدث للمرة الثانية . كانت مدام هول تقول إن كلبه لا يحسن صنعًا بعضّ النزلاء ، وكان هناك هكستر المتسائل وساندى وادجرز الذى يصدر أحكامًا . وكان هناك نساء وأطفال ، والكل يقولون حماقات :

ـ « لن أسمح له بأن يعضنى .. »

ـ « ليس من الحكمة الاحتفاظ بكلاب كهذه .. »

نظرت له مسز هول فوجدت أنه لا يملك الكلمات التى تتيح له التعبير عما رآه بالطابق العلوى . قال لها :

ـ « لا يحتاج لعون .. من الأفضل أن نسرع بنقل متاعه .. »

قال مستر هكستلر :

ـ « يجب أن يكوى الجرح حالاً .. خاصة لو التهب .. »

هنا عاد الكلب ينبح من جديد . ودوى صوت غاضب عند المدخل :

ـ « هلم ! »

هناك وقف الغريب وقبعته لأسفل تغطى وجهه وقال :

ـ « كلما أحضرتم هذه الحقائب أسرع كلما سررتمونى .. »

ولاحظ أحدهم أنه استبدل قفازيه وسرواله . سأله فيرنسايد :

ـ « هل أنت بخير يا سيدى ؟.. أنا آسف جدًا لأن هذا الكلب .... »

ـ « لا مشكلة .. الجلد سليم .. أرجو أن تسرعوا .. »



هكذا تم حمـل أول صـندوق ـ حسب تعليماته ـ إلى قاعة الاستقبال . انحنى فوقه الغريب وراح يفتحه فى لهفة حقيقية .. وراح يلقى بالقش غير مبال بسجادة مسز هاول .

بدأ يخرج زجاجات صغيرة فيها مساحيق . وكانت هناك زجاجات أصغر تحوى سوائل . زجاجات ذات سدادات فلين .. زجاجات ذات سدادات خشبية .. زجاجات عليها علامة (سم) .. راح يرصها على (الشيفونيرة) ورف المدفأة .. لقد كان مشهدًا عجيبًا ..

سرعان ما فرغت الصناديق ، فلم يبق فيها سوى القش وميزان صغير مما يستعمل فى المختبرات . كان مشغولاً بهذا فلم يبال لحظة بالحقائب التى نقلت لغرفته .

عندما جاءته مسز هول بالعشاء كان منهمكًا يصب قطرات السائل فى أنابيب الاختبار . لم يشعر بها إلى أن وضعت الطعام على المنضدة وأزاحت القش بقدمها . لاحظت عندما رفع رأسه أنه نزع عويناته وبدا لها أن محجريه عميقان جدًا .. وضع العوينات واستدار لها وقال :

ـ « أرجو ألا تدخلى من دون قرع الباب .... »

ـ « قرعت .. لكن من الواضح أن ..... »

ـ « ربما فعلت .. لكن فى أبحاثى .. أبحاثى الخطيرة فإن أقل إزعاج ... يجب أن أطلب منك أن .... »

ـ « بالطبع يا سيدى ويمكنك أن تغلق الباب بالمفتاح لو أردت .. »

ـ « فكرة طيبة .. »

ـ « بخصوص هذا القش يا سيدى .. لو سمحت لى بالتعليق ... »

ـ « لا تعلقى .. لو كان القش يضايقك فلتضيفى الإزعاج على الفاتورة .... »

كان منظره غريبًا هناك وهو غاضب متفجر وأنبوب اختبار فى يده .. حتى أنها شعرت بذعر . لكنها فرشت الشرشف على المنضدة فجلس ..

ظل يعمل طيلة العصر والباب مغلق عليه . لا صوت إلا من مرة سمعت فيها صوت ارتطام والزجاجات تصطدم ببعضها .. ثم سمعت صوت خطوات تعبر الغرفة جيئة وذهابًا . هرعت تصغى للباب فسمعته يقول :

ـ « لا أســتطيع الاستمرار .. لا أســتطيع الاستمرار .. أنا أحمق ... أحمق ! »

سمعت صوت خطوات فاضطرت فى أسف أن تعود للبار ولا تصغى لباقى المناجاة .

عندما جلبت له الشاى وجدت زجاجًا مهشمًا فى ركن الغرفة تحت المرآة . وكانت هناك لطخة سائل ذهبى تم مسحها بعناية .

قال الغريب وقد رأى نظراتها :

ـ « بالله عليك أضيفى هذا للفاتورة .. أى ضرر أضيفيه للفاتورة .... »

****

قال فيرنسايد فى غموض :

ـ « سأقول لك شيئًا .. »

كان هذا فى ساعة متأخرة من عصر اليوم ، فى حانـــة فـــى أيبنج . فسأله تيدى هنفرى :

ـ « ماذا ؟ »

ـ « هذا الرجل الذى عضه كلبى .. إنه أسود تمامًا .. رأيـت التمزق فى سرواله وقفازيه .. من الطبيعى أن يظهر لون وردى .. أليس كذلك ؟.. بلى .. لم يكن سوى السواد .. »

قال هنفرى :

ـ « رباه .. هذه حالة غريبة .. إن أنفه وردى كالدهان .. »

ـ « أعرف .. هذا الرجل مبرقش .. أسود هنا ووردى هناك .. ومن الواضح أنه يخجل من ذلك .. هذه أشياء تحدث مع الخيول كما تعلم .. »



الفصل الرابع

مستر كاس يقابل الغريب

حكيت ملابسات وصول الغريب إلى إيبنج بشىء من التفصيل حتى يفهم القارئ ما خلفه الرجل من انطباعات غريبة . ولكن باستثناء حادثين غريبين يمكن أن نمر مر الكرام بتفاصيل إقامته حتى جاء يوم احتفال النادى .

كانت هناك بعض مشادات مع مسز هول تتعلق بالنظام المنزلى ، لكن حتى آخر إبريل ــ عندما بدأت علامات الضيق المالى تظهر عليه ــ كان يحل كل مشكلة بأن يدفع أجرًا إضافيًّا .

لم يحبه مستر هول ، وعندما يتجاسر كان يحكى عن ضرورة التخلص منه . وكانت مسز هول تقول له :

ــ « انتظر حتى الصيف .. عندما يصل الفنانون سنرى . ربما كان مزعجًا نوعًا لكنه يدفع فواتيره بدقة .. »

لم يكن الغريب يذهب للكنيسة ولم يكن هناك فارق بين سلوكه يوم الأحد والأيام الأخرى . كان يعمل بشكل متقطع . أحيانًا كان

يبدأ العمل مبكرًا وينشغل طيلة اليوم .. وفى أيام أخرى ينهض متأخرًا ويدخن وينام جوار النار . لم يكن له اتصال بالعالم خارج القرية .. وكان مزاجه متقلبًا .. أحيانًا كان يمزق أو يهشم الأشياء .. وكان يكلم نفسه كثيرًا لكن مسز هول لم تكن قادرة على تمييز ما يقول .

كان يخرج أحيانًا لكنه يختار أكثر طرق مقفرة ويمشى متواريًا بالأغصان ، وكان الأطفال الذين يرونه يصابون بهلع .. لكنك لا تعرف إن كان يكره الأطفال أكثر أم هم يكرهونه أكثر ..

كان من المحتم أن يسبب رجل بهذا المنظر الغريب فيضًا لا ينتهى من الكلام والإشاعات فى هذه البلدة . وكانت مسز هول تتعامل بحساسية شديدة مع من يسألها ..

قيل من وراء ظهرها إن الضيف لص يتخفى بهذه الطريقة هربًا من العدالة .. هذه الفكرة بدأت من عند مستر تيدى هنفرى . لكن لم يتذكر أحد أية جريمة يعود تاريخها لمنتصف فبراير .

أما مستر جولد المساعد بالمدرسة فقد كان يؤمن أن الغريب فوضوى متنكر وهو يجهز المفرقعات لعملية كبرى . قال إنه سيجرى تحرياته عن هذا الموضوع ، لكن هذه التحريات لم تزد على توجيه نظرات حادة للغريب كلما التقيا .

مستر فيرنسايد تزعم مدرسة أخرى تقول إن الغريب مـــصاب بمرض جلدى جعله مبرقشًا وهو حساس لذا يتحاشى العيـــون . البعض فكر فى تفسيرات ما وراء الطبيعة وبالذات بعد حادث أول إبريل . على كل حال مهما تباينت الآراء أجمع القوم فى إيبـــنج على عدم الارتياح له .

وانتشرت فى ذلك الوقت أغنية تقـــول (البعبـــع) .. مـــس ستاتشل غنتها فى حفل المدرسة .. ومن ذلك الوقت كلما التقـــى اثنان من القرية وظهر ذلك الغريب ، كان مقطع من هذه الأغنية يتم تصفيره . وكان الأطفال يتصايحون بهذه العبارة عندما يرونه .

كان كاس ـ الطبيب الممارس العام ـ يموت من الفـــضول . أثارت الضمادات حماسته المهنية بالإضافة لموضوع الـــ 1001 زجاجة . ظل ينتظر طيلة إبريل ومايو كى يجد فرصة للكلام مع الغريب ، بلا جدوى حتى لم يعد يتحمل أكثر . وسرعان ما قـــرر زيارة الفندق .

أثار دهشته أن مستر هول لا يعرف اسم ضيفه .. وقالت مسز هول :

ـ « قال اسمًا لكنى لم أسمعه .... »

وهو كلام غريب فعلاً . هكذا اتجه كاس إلى باب قاعة الانتظار وقرع الباب ودخل . دوى صوت من الداخل وسمعته مس هـــول وزوجها كاس يقول :

ـ « سامحنى على تطفلى .. »

ثم انغلق الباب فلم تسمع مسز هول باقى المحادثة . ســـمعت لغطًا ثم صرخة دهشة .. صوت مقعد يتحرك .. ضـــحك يـــشبه النباح .. ثم ظهر كاس على الباب بوجه أبيض تمامًا وهو ينظر فوق كتفه . ترك الباب مفتوحًا خلفه ثم هرع يهبط فى الـــدرج ، وسمعا صوت خطواته تركض فى الشارع .

وقفت خلف الباب تنظر .. هنا سمعت الغريب يضحك بـــصوت عال ثم عبرت خطواته الغرفة .

انطلق كاس إلى القرية حيث القس (بونتنج) . وصاح وهـــو يدخل المكتب الصغير :

ـ « هل أنا مجنون ؟ هل أبدو كمجنون ؟ »

قال القس وهو يكتب موعظته القادمة :

ـ « ماذا حدث ؟ »

ـ « هذا الرجل فى الحانة .. »



ـ « ماذا به ؟ »

ـ « أريد شيئًا أشربه ، .... »

وجلس ..

هدأت أعصابه بكأس من الشيرى .. ثم بدأ يحكى للقس لقاءه الغريب مع الرجل :

ـ « ذهبت هناك بزعم البحث عـن تركيـب وصـفة طبيـة للممرضة (فاند) . عندما دخلت وضع يديه فى جيبيه وجلـس على مقعده . قلت له إننى سمعت أنه ذو اهتمامات علمية . قـال نعم . وكان لا يكف عن الاستنشاق بصوت مسموع من أنفـه . ربما أصيب ببرد شديد مؤخرًا ، ولا عجب أن يحدث هذا وهـو ملفوف بكل هذا ! . وكنت أنظر من حولى فأرى شتى الزجاجات وأنابيب الاختبار . سألته إن كان يجرى بحثًا علميًا فقال نعـم .. سألته إن كان البحث طويلاً فقال فى ضيق : بحث طويل لعين .. »

« بدا كأننى انتزعت سدادة منه ، ومنها خرج كل ما يكتمه من ضيق .. لقد فجر سؤالى كل ما لديه من إحباط . هنا تحـرك الهـواء فطارت وصفة الدواء التى كتبتها لتحترق فى نار المدفأة .. مد يده بسرعة ليمسك بها قبل أن ترتفع فى المدخنة ، هنا رأيت ذراعه ... »

ـ « حسن ؟ »

ـ « لا يد !.. مجرد كم فارغ !... رباه .. حسبت هذا تشوهًا .. ثم قلت لنفسى إن هنـاك شيئًا غريبًا فى هـذا .. فما الذى يبقى الكم واسعًا مفتوحًا ما دام لا شىء فيـه ؟.. أؤكد لك .. لا شىء حتى الكوع .. هكذا صرخت (ربـاه !) ؟؟ فنظر لى بعويناتـه السوداء ثم نظر لكمه .... »

ـ « حسن ؟ »

ـ « هذا كل شىء .. لم يتكلم .. أعاد كمه لجيبه وقال : كما كنت أقول . لقد احترقت الوصفة .. فسألته : كيف تقـدر بحـق السماء أن تحرك كمًا فارغًا هكذا ؟.. قال لى : كمٌ فارغ ؟.. ثـم نهض فنهضت كذلك .. اتجه نحوى بثلاث خطوات بطيئة ووقف جوارى .. لم أتحرك برغم أن هذه الضمادات كافية بأن تجرد أى واحد من أعصابه .. قال لى : قلت إنه كم فارغ ؟ فقلت : نعـم . هنا ببطء أخرج كمه من جيبه ورفع ذراعه كأنما يريد أن يريها لى .. بدا لى هذا كقرن » ..

« بدأت أفقد أعصابى . لقد كان يمد ذراعه نحوى ببطء شديد .. شديد .. حتى صار الكم على بعد ست بوصات من وجهى . كان الكم فارغًا فعلاً ..... »

- « حسن ؟ »

- « وشعرت بشىء كإبهام وإصبع يعركان أنفى .... »

هنا راح القس يضحك .

قال كاس :

- « لم يكن هناك شىء .. من السهل أن تضحك .. لكن أؤكد لك أن الهلع أصابنى . جريت مغادرًا المكان .. »

ثم توقف كاس . لم يكن هناك شك فى صدق رعبـــه . تنـــاول كأسًا أخرى من شراب القس .. وقال :

- « ضربت كمه بيدى .. فشعرت بالضبط بأننى أضرب يدًا .. لكن لم تكن هناك يد ! .. »

فكر مستر بونتنج فى الأمر ونظر فى شك لكاس :

- « هذه قصة غريبة .... »

وبدت عليه علامات الحكمة والجدية ، ثم أردف :

- « هذه بالفعل قصة غريبة ومثيرة .. »

الفصل الخامس

اللص فى مقر القس

بلغتنا أخبار السطو على مقر القس عن طريق القـــس نفـــسه وزوجته . صحت مسز بونتنج من النوم وسط الصمت المعتاد قبل الفجر ، وقد شعرت أن باب غرفة النوم انفتح وانغلق . لـــم توقظ زوجها بل جلست تصغى . ثم سمعت صوت قدمين حافيتين تضربان الأرض فى الغرفة المجاورة ..

ما إن تأكدت من هذا ، أيقظت زوجها مستر بونتنج بهـــدوء . لم يوقد نـــورًا بل وضـــع عويناته والروب والخفيـــن ، ثم خرج ليصغى . سمع من يعبث فى مكتبه بالطابق السفلى ثـــم عطـــسة عنيفة .

هكذا عاد لحجرته وتسلح بأقرب سلاح وجده وهـــو محـــراك النار ، ثم نزل فى الدرج متحاشيًا الضوضاء قدر الإمكان . كانت الساعة الرابعة صباحًا وقد بدأ ظلام الليل الدامس يخف .. وكان هناك ضوء خافت فى الصالة لكن باب غرفة المكتب كان أســـود تمامًا .

فجأة وثب شيء وانفتح درج وكانت هناك أصوات أوراق تحتك . ثم اشتعل عود ثقاب وغرق المكتب فى ضوء أصفر . واستطاع أن يرى من موضعه شمعة تشتعل ودرجًا مفتوحًا لكنه لم ير اللص .

وقف هناك لا يعرف ما يفعل . لكن شيئًا واحدًا جعله شـجاعًا هو أنه أيقن أن اللص من سكان القرية . ثم سمعا صوت الذهب ، فعرفا أن اللص وجد مدخراتهما من الذهب ..

هنــا شعر مســتر بونتنج بضرورة التحــرك ، فقبض علــى المحراك واندفع للغرفة وهو يصيح (استسلم !) .. وتبعته مسز بونتنج . هنا توقف مذهولاً .. فالغرفة كانت خالية ..

لكن شعورهما بأن هناك من يتحرك فى الغرفة صار يقينًــا .. ولنصف دقيقة وقفا فاغرى الفم ثم هرع مــستر بــونتنج يعبــر الغرفة لينظر خلف الستار . ثم اتجهت زوجته لتتفحص المــدفأة وأولجت فيها محراك النار . وتفقد هو سلة المهملات ..

فى النهاية وقفا ينظران لبعض .. وقال :

ـ « كان بوسعى أن أقسم ...... »

قالت زوجته :

ـ « الشمعة .... من أشعل الشمعة ؟ »

ـ « والدرج ؟.. والمال الذى اختفى ؟ »

هرعت الزوجة إلى الباب هنا سمعت عطسة قوية فى الردهة فاندفعا للخارج .. وإذ فعلا هذا انغلق باب المطبخ . صــاح فــى زوجته :

ـ « هاتى الشمعة .. »

واقتاد الطريق . هنا سمعا صوت مزاليج تنفتح .

إذ فتح باب المطبخ رأى أن الباب الخلفى للمطبخ ينفتح ببطء ، وقد تسرب ضوء الفجر لتظهر الحديقة الخلفية . يعرف يقينًا أنه لم ير شيئًا يخرج من الباب .. وتوهجت الشمعة التــى تحملهــا مسز بونتنج .

مرت دقيقة قبل أن يدخلا المطبخ .

كان المكان خاليًا .. أغلقا البــاب ثانيــة وتفحــصا المطــبخ ومغسلة الأطباق . لم يكن هناك مخلوق فى البيت كله .

بزغ ضوء النهار على القس وزوجته وهما ما زالا يفتــشان فى بيتهما على ضوء شمعة لم يعد لها لزوم

الفصل السادس

الأثـــاث يجـــن

ما حدث فى الساعات الأولى من يوم الاثنـــين التـــالى لعيد الفصح ، هو أن مستر ومسز هول استيقظا ونزلا إلـــى القبـــو . كان ما سيقومان به ذا طبيعة خاصة ، له علاقة بالكثافة النوعية للبيرة التى يقدمانها . بعد ما نزلا للقبو تذكرت أنهـــا نـــسيت أن تجلب زجاجة النبيذ .

بما أنه كان الخبير فى هذا الصدد ، فقد صـــعد يبحـــث عـــن الزجاجة . هنا اندهش لما رأى أن غرفة الغريب مفتوحة . ذهب لحجرته وأحضر الزجاجة التى أرادها فلما عاد لاحظ أن مـــزلاج باب الحانة مفتوح وأن الباب مغلق فقط بقفل (اللاتش) . هكذا ربط بين هذا وباب غرفة الغريب .

توقف وفمه مفتوح .. ثم صعد إلى الطابق الثانى من جديد .

دق على باب الغريب .. لا إجابة . دق ثانية ثم فـــتح البـــاب ودخل . كما توقع كانت الغرفة خالية تمامًا . وعلى الفراش رأى الثياب .. الثياب الوحيدة التى يعرفها لـــدى الغريـــب .. وكانـــت الضمادات ملقاة كذلك .

وقف هناك يتأمل ، عندما سمع صوت زوجته مـــن القبـــو .. تناديه بتلك الطريقة التى ترفع نغمة آخر كلمة ، والتى يستخدمها فلاحو (وست سوسكس) لتعكس نفاد صبرهم .

هرع إلى القبو ليخبرها :

ـ « جينى .. يبدو أن هنفرى محق .. والغريب لـــيس فـــى غرفته والباب قد فتح مزلاجه .. »

لم تفهم مسز هول أولاً ثم عندما فهمت قررت أن ترى غرفة الغريب بنفسها . لحق بها زوجها قائلاً :

ـ « لو لم يكن هنا فثيابه موجودة .. ماذا يفعل بلا ثياب ؟.. هذا أمر خطير .. »

خيل لهما أنهما سمعا الباب الأمامى يفـــتح ويغلـــق . كانـــت تسبقه فى المشى عندما عطس شخص ما . خيل لها أن زوجها يعطس .. ثم أنها بلغت الغرفة ففتحت الباب وألقت نظرة :

ـ « يا للغرابة ! »



سمعت من يشهق من أنفه بجوارها فاستدارت لتجد لدهـــشتها أن (هول) على بعد 12 قدمًا . وضعت يدها على الوســـادة ثـم تحت الثياب وقالت :

ـ « باردة ... لقد غادر منذ ساعة أو نحو ذلك .. »

هنا حدث شيء غريب .. فجأة تجمعت ملاءات السرير معًا ثم ارتفعت كجبل صغير وطارت فوق حاجز الفراش ... كـــأن يـــدًا خفية كومتها وقذفت بها ..

بعد هذا وثبت الأسفنجة من حوض الغسيل ، وســـرعان مـــا راحت الأشياء بالحجرة تتواثب .. طار المقعد ليضربها برفق فى أسفل ظهرها ودفعها وزوجها خارج الغرفة . ثم انغلـــق البـــاب وأزيح المزلاج . ثم ساد الهدوء .

كانت مسز هول فاقدة الوعى تقريبًا .. وقد تعب مستر هـــول والخادمة ميلى جدًا حتى تمكنا من نقل السيدة للطابق الـــسفلى ، مع محاولة إنعاشها بالسبل المعتادة .

كانت تردد :

ـ « عفاريت !.. عرفت هذا !.. قرأت عنها .. لا تدع هذا الرجل يدخل ثانية . كان على أن أعرف هذا منذ البداية بهذه الضمادات والعوينات . ولا يذهب للكنيسة يوم الأحد .. لقد دخلت الأرواح الأثاث .. أثاثى العزيز .. هذا المقعد الذى ضربنى كان مقعد أمى ..... »

أرسلوا ميلى لتوقظ (ساندى وادجرز) الحداد . كـــان رجـــلاً واسع الحيلة وقد سمع القصة فقال :

ـ « فلألعن إن لم يكن هذا سحرًا ..... »

هنا انفتح الباب بالطابق العلوى ، ونزل الغريب بثيابه المعتادة .. لكن عينيه الواسعتين كانتا تنظران لهم فى ثبات .. لم يبعد عينيه لحظة .. مشى فى الممر ثم توقف .

قال لهم :

ـ « انظروا !..... »

راحوا يتابعون أصبعه المغطى بالقفاز فرأوا زجاجة نبيذ على باب القبو . ثم دخل غرفة الاستقبال وأغلق الباب فى وجـــوههم بعنف وعصبية .

لم يتكلم أحد .. تبادلوا النظرات إلى أن قال وادجرز :

ـ « سوف أدخل وأسأله .. أنا أطالب بتفسير .. »

اتجه الزوج إلى باب الغرفة وفتحه وقال :

ـ « أرجو المعذرة .... »

هنا صاح الغريب بصوت مرعب :

ـ « اذهب للشيطان !.. أغلق الباب خلفك ! »

وهكذا انتهت المقابلة القصيرة ...

الفصل السابع

كشف سر الغريب

دخل الغريب قاعة الاستقبال فى حانة (العربة والخيول) فى الخامسة والنصف صباحًا ، وظل هناك حتى الظهيرة ، والستائر مسدلة والباب مغلق ولا أحد يجسر على الدنو منه .

لابد أنه لم يأكل شيئًا طيلة هذا الوقت ، وقد قرع الجرس ثلاث مرات .. الثالثة كانت بعصبية وبإصرار لكن لـم يجبـه أحـد . وقالت مسز هول :

ـ « فليذهب للجحيم .. »

كانت حكاية سرقة مقر القس قـد ذاعت ، وبدأ البعض يربط بين القصتين .. وقد ذهب مستر هـول مع وادجرز إلى رئـيس الشرطة (شاكلفورث) لأخذ رأيه .

لا يعرف أحد كيف كان الغريب يمضى وقته ، فقط تسمع من حين لآخر سبابًا أو صوت تمزيق ورق . وتتزايد عدد المذعورين فـى الحانة ، وجاء عدد كبير من الناس وبعضهم تطوع بأن يخـتلس نظرة عبر الستائر إلى حيث كان الغريب ، لكنهم لم يروا شيئًا .

كان هذا اليوم بالذات أروع احتفال بيوم الاثنين الذى يلى عيد الفصح . وكانت القرية كلها تحتفل وقد ارتدى الجميـع أفـضل وأزهى ثياب لديهم ، وكانوا يلوحون بأعلام (يونيون جاك) فى الطرقات ..

بينما الغريب فى ظلام قاعة الاستقبال يجلس وحـده . جائعًـا بالتأكيد وربما خائفًا .. عاكفًا على أوراقه وهـو مـدثر بثيابـه وأربطته المعتادة . وجوار المدفأة تناثرت بقايا أنابيـب اختبـار هشمها وكانت رائحة الكلور الخانقة تتصاعد فى الهواء .

عند الظهيرة فتح باب قاعة الاستقبال ووقف يحملق فى ثبات فى ثلاثة أو أربعة أشخاص فى البار . ثم نادى :

ــ « مسز هول ! »

ذهب أحدهم مذعورًا ينادى مسز هول . بعـد قليـل ظهـرت السيدة وقد انقطع نفسها لكنها أكثر شراسة . كانتْ قد رتبت لهذا المشهد وأعدت صينية عليها فاتورة الإقامة وقالت :

ــ « هل تريد الفاتورة يا سيدى ؟ »

قال لها :

ــ « لماذا لم تعدى إفطارى ؟.. هل تحسبيننى أعيش من دون طعام ؟ »

قالت مسز هول :

ــ « ولماذا لم تدفع فاتورتى ؟.. هذا ما أريد معرفته .. »

ــ « قلت لك منذ ثلاثة أيام إننى أنتظر تحويلاً .... »

ــ « وأنا أنتظر منذ خمسة أيام أن أحصل على مالى .. فلماذا تشكو من أننى لم أعد لك الطعام ؟ »

أطلق الغريب سبة قصيرة لكنها معبرة . كان يبـدو كخـوذة غطس غاضبة أكثر من أى وقت سابق . وشعر الجميـع بأنهـا انتصرت عليه .. قال لها :

ــ « انظرى يا سيدتى الطيبة .... »

ــ « لا تدعنى بالسيدة الطيبة .... »

ــ « أنا بانتظار الحوالة لكن فى جيبى من الفضة ما ...... »

ــ « من أين جئت بالفضة ؟ »

بدا أن هذا السؤال أغاظه جدًا .. لكن المرأة واصلت الكلام :

— « قبل أن آخذ أى مال أو أجلب لك إفطارًا عليك أن تخبرنى بشىء لم أفهمه ، ولم يفهمه أحد هنا ، ويشتاق الجميع إلى فهمه .. ما الذى فعلته لمقعدى بالطابق العلوى ؟.. وأريد معرفة كيف كانت حجرتك خالية ثم عدت لها ؟ .... »

هنا رفع الغريب يده المغطاة بقفاز وضرب الأرض بقدمه ، وقال :

— « كفى ! »

حتى أنه أخرس الجميع . وقال :

— « أنتم لا تفهمون .. لا تعرفون من أنا ولا ما أنا .. بالله عليكم سترون .... »

ثم مد يده إلى وجهه وانتزع شيئًا .. صار مركز وجهه فجوة سوداء وهتف :

— « هنا ! »

ومد يده بشىء لمسز هول فأخذته بشكل تلقائى وهى تنظر لوجهه . ثم رأت ما هو فصرخت بأعلى صوتها ورمته أرضًا ..

كان هذا هو أنف الغريب .. اللامع الوردى .. يتدحرج على الأرض ...

ثم نزع عويناته فشهق الجميع .. ثم مزق أربطة رأسه .. قاومته للحظة فسادت لحظة من الترقب الخائف فى البار . ثم طارت الأربطة ..

كان هذا أسوأ من أى شىء . وقد وقفت مسز هول وقد صعقها الرعب ، وراحت تصرخ .. الكل راح يفر .. لقد تأهبوا ليروا ندوبًا أو تشوهات لكنهم لم يتأهبوا لرؤية لا شىء !..

لقد طارت الضمادات وخصلات الشعر المستعار فى البار ، فتواثب الناس وثبات خرقاء لتفاديها . تعثر الكل بالكل . لقد صار الرجل عبارة عن ياقة معطف يطل منها لا شىء على الإطلاق !

سمع الناس فى القرية الصراخ وإذ نظروا رأوا أن الحانة تفرغ ما فيها من بشر ..

رأوا مسز هول تسقط على الأرض ، ومستر هنفرى يتعثر حتى لا يسقط فوقها . ثم سمعوا صراخ ميلى التى كانت قد خرجت من المطبخ لتصطدم بالغريب من الخلف . وسرعان ما راح الناس من كل صوب يهرعون نحو الحانة .

بدا أن كل إنسان يرغب فى الكلام وكانت النتيجة هى برج بابل . وكان الجميع شهود عيان :

ــ « عفريت .... »

ــ « أتراه آذى الفتاة ؟ »

ــ « رجل بلا رأس .. هذا مؤكد .. »

ــ « كلام فارغ... مجرد لعبة حواة .. »

وتكوم الناس قرب الباب وقد صار أكثرهم حبًا للمغامرة هـم الأقرب .

ــ « لقد استدار للفتاة .. هربت منه لكنه لحق بها ثـم عـاد وهو يحمل سكينًا فى يد ورغيفًا فى اليد الأخرى . أؤكد لكم أنـه بلا رأس .. »

جـاء مستر بوبى جافيـرس الكونستابل ثم مستر وادجرز . كانوا يحملون الآن إذن تفتيش فتصايح الناس .

صعد مستر هول الدرجات واتجه لباب غرفة الاستقبال . فتح الباب وصاح :

ــ « أيها الكونستابل .. قم بعملك .. »

فجأة رأوا فى الضوء الخافت ذلك الجسد بلا رأس يـواجههم وهو يحمل فى يد قطعة من الجبن ، وفى الأخرى رغيف خبز .

قال هول :

ــ « هذا هو ! »

من فوق الياقة الفارغة جاء الصوت :

ــ « ما هذا بحق الجحيم ؟.. ابتعدوا عنى .... »

ثم ألقى بالجبن والخبز . بسرعة التقط مستر هـول الـسكين الموضوعة على المنضدة ليمنعه من أخذها . نزع الغريب قفازه الأيسر وألقاه فى وجه (جافيرس) فمد جافيرس يده وأطبق على عنقه غير المرئى . تلقى لكمة عالية فى نقنه جعلته يصرخ ألمًا ..

التحم الرجلان وراحا يتبادلان الضربات . ارتطما بمقعد فهوى أرضًا متحطمًا . وصاح جافيرز :

ــ « تمسك بقدميه ! »

حاول مستر هول أن ينفذ ما طلب منه ، لكنه تلقى ركلة عنيفة فى ضلوعه شـلته للحظـات . ورأى وادجرز أن الغريب الـذى لا رأس له يوشك على الانتصار على جافيز .

تراجع للباب وقد أخذ السكين معه فاصطدم بمـستر هاكـستر وسائق عربة سيدربريدج وقد جاءا ليساعدا العدالة . هنا سقطت ثلاث زجاجات من الشيفونيرة وفاحت رائحة قوية فى الجو .

صاح الغريب :

ـ « سوف أستسلم .... »

برغم أنه غلب جافيرز فعلاً ، وفى اللحظة التالية وقف يلهـث .. بلا رأس ولا يدين لأنه انتزع قفازه الآخر . كان من الغريب جدًا أن تسمع هذه الكلمات تأتى من فـضاء خـال . لكـن فلاحـى سوسكس هم أكثر الناس عملية على ظهر الأرض .. لهـذا لـم يضيعوا وقتًا فى الدهشة ..

نهض جافيرز وأخرج زوجًا من الأصفاد ثم توقف وقـد أدرك ما فى الموقف من تناقض :

ـ « تبًا .. ليس بوسعى استعمال الأصفاد ! »

مد الغريب يده لمعطفه .. وكأنما تـم ذلـك بمعجـزة انفـتح المعطف .. ثم بدا أنه يعبث بجوربه وحذاءيه ..

صاح هكستر :

ـ « هذا ليس رجلاً .. إنه مجرد ثياب خاليـة .. يمكنـك أن ترى بطانة ثيابه .. يمكننى أن أضع ذراعى .... »

ومد يده لجسد الرجل ، لكن اصطدم بشىء ما فتراجعت يده ..

قال الصوت :

ـ « أتمنى لو تبعد يدك عن عينى .. الواقع أننى موجود هنا بالكامل .. فقط أنا غير مرئى .. هذا شىء مزعج لكنها الحقيقة .. لكن هذا ليس سببًا يبرر أن تفقأ عينى كل بطيخة غبية فى أيبنج .. أليس كذلك ؟ »

رجال كثيرون كانوا قد دخلوا الغرفة ..

قال هكستر متجاهلاً شكوى الغريب :

ـ « غير مرئى .. هه ؟.. من سمع عن هذا ؟ »

ـ « هذا غريب ربما لكنها ليست جريمة .. فلماذا يهـاجمنى رجال الشرطة ؟ »

قال جافيرز :

ـ « بالفعل غريب .. لكن دعنى أقل لك إننى هنا ليس لجريمة (الاختفاء) بل لجريمة السطو .. لقد سرق منـزل .. واسـتلب مال .. والظروف تشير إلى ...... »

قال الرجل الخفى :

ـ « هــراء ! »

ـ « أتمنى هذا يا سيدى .. لكن على أن أنفذ تعليماتى .. »

ـ « ليكن . أنا آت معك لكن لا أصفاد .. »

ـ « هذه هى القواعد يا سيدى .. »

أصر الغريب :

ـ « لا أصفاد .. »

جلس الغريب .. وقبل أن يفهم أحد ما يحـدث طـار جوربـه وسرواله ثم المعطف ..

صاح جافيرز وقد أدرك ما يحدث :

ـ « هيه .. كف عن هذا .. »

أمسك بالمعطف لكنه خرج فى يده فارغًا .

ـ « امسكوا به .. لو نزع هذه الثياب فلسوف ..... »

لم يعد هناك سوى قميص أبيض على الغريب . وسرعان مـا ارتفع عن جسده فلم يعد مرئيًا .. تصايح الناس :

ـ « أوقفوه !.. لا تجعلوه يهرب !... أغلقوا الباب ! »

وراحوا يضربون كل الاتجاهات فى خرق .. وبدا أن كل واحد تلقى ضربة فى اللحظة ذاتها . تلقى فيبس الموظـف الحكـومى ضربة هشمت أسنانه الأمامية ، وتهشم غضروف أنف هنفرى . ضرب جافيرز تحت الفك ، ثم شعر بصدر عضلى يضرب وجهه ، وسرعان ما اندفع الرجال الهائجون المضروبون إلـى الممـر . كان جافيرز يضرخ وقد احتقن وجهه وبرزت أوردتـه ممـسكًا بشىء ما :

ـ « لقد قبضت عليه ! »

واندفع عبر الدرجات التى تصعد إلى الحانة . ثم سقط علـى رأسه فوق الحجارة . تعالت الصيحات :

ـ « أمسكوه !... غير مرئى !!.... »

وظهر شاب غريب لا يعرف أحد اسمه وأمسك بـشىء لكنـه أفلت منه فسقط على الكونستابل . وعبر الطريق صرخت امـرأة إذ راح كلبها يعوى ويجرى نحو فناء (هسكتر) ، وهكـذا تـم عبور الرجل الخفى .

ولفترة وقف الناس مذهولين يشوحون .. ثـم جـاء الـذعر فتفرقوا فى أرجاء القرية كما يبعثر النسيم أوراق الشجر .

لكن جافيرز ظل حيث هو ، ووجهه ينظر للسماء وركبتاه مثنيتان عند أسفل درج الحانة .

الفصل الثامن

فى الفرار

الفصل الثامن مختصر جدًا ، ويحكى عن جيبونز عالم الأحياء الهاوى بالمنطقة ، الذى كان يرقد فى مكان منعزل بلا أى مخلوق على بعد ميلين منه . وكان ينعس تقريبًا عندما سمع بقربه صوت رجل يسعل .. يعطس .. ثم يسب بغلظة ..

نظر حوله فلم ير شيئًا .. لكن لم يكن هناك جدل حول الصوت .. كان يسب ويلعن ، لكن بطريقة توحى برجل مثقف .. تعالى الصوت ثم تلاشى ..

لم يكن جيبونز قد سمع أى شىء عن حادث الصباح ، لكن ظاهرة الصوت كانت غريبة لدرجة أن النوم طار من عينيه .. نهض وهرع نحو منحدر التل المتجه للقرية بأسرع ما استطاع .

الفصل التـــاسـع

مستر توماس مارفيل

لابد من أن تتخيل مستر توماس مارفيل ، كرجل ضـخم لـه وجه رخو وأنف أسطوانى وفم متموج ولحية شائكة عجيبة . أما جسده فأقرب إلى الامتلاء . كان يلبس قبعة مـشعثة ويـستعمل أربطة الأحذية بدلاً من أزرار سترته مما يدل على أنه أعزب .

كان يجلس وقد أراح قدميه فى مصرف مـاء علـى طريـق (أدردين) على بعد ميل ونصف من إيبـنج . وكانـت قـدماه مسترخيتين باستثناء جوربين مليئين بالثقوب . كان يجَرب حذاءين ذوى عنق .. أفضل حذاءين وجدهما منذ زمـن لكنهمـا كانـا كبيرين عليه . كان يكره الأحذية الواسعة لكنه يكره الأحذية التى يتخللها البلل أكثر . كان اليوم صحوًا لذا وضع أحذيته الأربعـة فى صف واحد وراح يتأملها . هنا سمع صوتًا من خلفه يقول :

ــ « هى مجرد أحذية .... »

قال مستر توماس وقد أمال رأسه ليرمق الحذاءين فى غيـر رضا :

ــ « هى أحذية صدقة .. لا أعرف أيهما أكثر قبحًا .. »

قال الصوت :

ــ « هذا بلد لعين .. وأناسه خنازير .. »

قال مستر توماس :

ــ « أليس كذلك ؟.. وتلك الأحذية اللعينة .. إنها تغلـب كـل شىء ! »

ولم يرفع عينيه عن الحذاءين . ثم استدار لجانب كـى ينظـر إلى حذاء محدثه .. هنا وجد أنه لا يوجـد حـذاء ولا قـدم ! . أصيب بذهول تام :

ــ « أين أنت ؟ »

لم ير سوى منخفضات خالية والريح تؤرجح الأغصان الخضراء البعيدة . قال مستر مارفيل :

ــ « هل أنا ثمل ؟.. هل أكلم نفسى ؟ »

قال الصوت :

ـ « لا تخف .... »

ـ « بل ستخاف أنت حالاً أيها الأحمق السخيف .. دعنى أضع علامتى على ..... »

ونهض حافى القدمين لا يجد كلمات يقولها .

ـ « إنها الطيور .. لابد أننى شربت كثيرًا .. كـان علـى أن أتوقع هذا .... »

قال الصوت :

ـ « ليس الشراب .. حاول أن تهدأ .. »

لكنه ظل ينظر له وهو يتأرجح للأمام والخلف ويقول :

ـ « أقسم أننى سمعت صوتًا .. »

ـ « بالفعل .... »

أغمض عينيه ووضع يده على حاجبه بحركة درامية . فجـأة جذبه شىء من ياقته وراحت يد خفية تهزه بعنف حتـى شـعر بدوار .

ـ « أنا قد جننت .. أو ربما هى عفاريت .... »

ـ « لا هذا ولا ذاك .. تماسك .. وإلا رحت أقذفك بالحجـارة إلى أن تعود لصوابك .. »

وشعر الرجل بأن هناك من يثقب صدره بإصبعه . راح يحـك رأسه ومؤخرة عنقه وقد استبد به الرعب . وقال :

ـ « إذن ما أنت ؟ »

هنا رأى قطعة صخر ترتفع فى الهواء نحوه .. وتوقفت هناك قرب رأسه ثم هوت ساقطة على إصبع قدمه . حاول أن يركض هاربًا لكنه تعثر فى عقبة غير مرئية وسقط مقلوبًا ليجد نفـسه جالسًا على الأرض ..

من جديد حلقت صخرة جديدة فوق رأس المتشرد ، وقال الصوت :

ـ « والآن .. هل أنا وهم ؟ »

جلس مستر (مارفيل) عاجزًا عن الحركـة .. وراح يراقـب القذيفة المعلقة فوق رأسه . وقال :

ـ « لا أفهم هذا .. صخور تقذف نفسها .. صخور تـتكلم .. اهدأ يا صاحبى .. لقد انتهى أمرى .. »

قال الصوت :

ـ « الأمر سهل .. أنا رجل خفى .. »

قال المتشرد وهو يئن ألمًا :

ـ « قل شيئًا لا أعرفه .. فقط لا أعرف كيف فعلت هذا .... »

ـ « حسن .. لتفهم هذا .. أنا خفى .. وهذه النقطة الأهم .. وأنا على بعد ستة ياردات منك .. »

ـ « هل تعنى أنك شفاف كالهواء ؟ »

ـ « بالضبط ..... »

هنا وثب المتشرد رعبًا فقد قرصه الغريب .. ثـم مـد يـده فتحسس اليد .. صعدت إلى معصم عضلى ثم صعدت إلى وجـه ذى لحية .. قال فى هلع :

ـ « هذا عجيب .. يفوق فى إثارته صراع الديكة .. وبـرغم هذا أرى كل شىء من خلالك .. »

ثم دقق أكثر وقال :

ـ « كنت تأكل خبزًا وجبنًا منذ وقت قريب ؟ »

ـ « نعم .. وهذا المشهد ليس سارًا كما تظن .. والآن أريـد أن تفهم أننى إنسان أحتاج للطعام والملبس .. كنت أركض فـى الشوارع عاجزًا عاريًا بردان .. كنت مستعدًا لقتل أى واحد ثـم وجدتك .. هل تفهم ؟ »

ـ « ربـــاه ! »

ـ « هنا قلت لنفسى : هذا هو رجلى .. إنـــه منبـوذ مثلـى بالضبط .. وأنا أريد أن تساعدني فى العثور على ثياب ومـأوى وكذا أشياء أخرى تركتها ... لكنك ستفعل .. ستفعل .... »

نفخ المتشرد خديه واتسعت عيناه ..

قال الصوت :

ـ « سوف تنفذ ما أطلبه .. أنت الوحيد الذى يعـرف ـ مع هؤلاء الحمقى ـ أن هناك شيئًا يدعى الرجل الخفى . لو سـاعدتنى سوف أحقق لك الكثير .. إن الرجل الخفى لرجل قوى .... »

ثم عطس بقوة .. وأضاف :

ـ « أما لو تلاعبت بى ...... »

ودق على كتف الرجل دقة ذات معنى . فشهق الرجـل مـن الخوف .. وقال :

ــ « لن أخونك .. فقط قل لى يا سيدى مـا تريـد أن أفعلـه ولسوف أنفذه على الفور .. »

الفصل العاشر

زيارة مستر مارفيل لإيبنج

بعد ما زال الرعب الأولى ساد الجدل قرية إيبنج . وبدأ نـوع من التشكك فيما رأوه يغزو النفوس .. من السهل جدًا ألا تؤمن بوجود رجل خفى .. لذا صار هـؤلاء الـذين رأوه يختفـى أو يلمسهم بيده قلة يمكن عدها على الأصابع . ومن ضمن شـهود العيان كان مستر وادجرز الذى توارى خلف أبواب ومزاليج بيته المغلق . وكان جافيرز فى الحانة مذهولاً .

كانت القرية ما زالت فى ثياب الاحتفال والرايات فى كل مكان . لقد انتظروا يوم الاثنين هذا منذ شهر ، لذا عند الظهيـرة كـان الشهود أنفسهم قد نسوا ما رأوه وانـدمجوا فـى الاحتفـالات ، وافترضوا أنه رحل بينما قال المتشككون إنه لا وجود له .

كانت هناك خيام تعد فيها النسوة الشاى ، بينمـا راح أطفـال مدرسة الأحد يتسابقون فى الشمس . وكانت هناك الكثيـر مـن المراجيح ، وحفل راقص على العشب ، مع بعض الألعاب العنيفة التى راقت للمراهقين جدًا ، بينما وقف أعضاء النادى بستراتهم

المميزة وقد علقوا عليها الشرائط الملونة . بالطبع كان هناك جو من عدم الارتياح فى الجو ..

فى الساعة الرابعة جاء غريب إلى القرية . كان قصير القامة متين البنيان متقطع الأنفاس ، وكان خداه رخـوين مكتنـزين . وكان وجهه يحمل أمارات الرعب ..

دار حول الكنيسة قاصدًا حانة (العربة والخيول) . رآه مستر فليتشر بوضوح هناك حيث جلس على باب داره ، وقد أثار انتباهه الذعر البادى على الرجل . لقد بدا كأن الغريب يكلم نفسه ..

توقف الغريب عند درجات حانة (العربة والخيول) وحسب شهادة مستر فليتشر فقد بدا كأنه يخوض صراعًا نفسيًا شـديدًا قبل أن يرغم نفسه على الدخول . فى النهاية رآه مستر هكستر يدخل قاعة الاستقبال . سمع أصواتًا تلوم الغريب على دخوله :

ـ « هذه الغرفة خاصة .... »

كان هذا صوت هول ، فأغلق الرجل الباب واتجه للبار . بعـد لحظات ظهر من جديد وهو يمسح فمه بيده وقـد بدا راضـيًا ، وراح ينظر حوله لبعض الوقت . ثم رأوه يتجه لبوابة الفناء التى تنفتح عليها نافـذة غرفة الاستقبال . بعـد تردد انحنى الغريب

واستند على جانب البوابة وبدأ يحشو غليونـًـا . أشـعله ويـده ترتجف ثم راح يدخن متظاهرًا بالاسترخاء .. اسـترخاء كذبتـه نظراته إلى الفناء .

كل هذا رآه مستر هسكتر .

وقف الغريب ووضع الغليون فى جيبه ثم توارى فى الفنـاء . وشعر مستر هكستر أنه شاهد على عملية سطو؛ لذا هرع إلـى الطريق ليسد طريق اللص . هنا ظهر مستر مارفيل وهو يحمـل شرشف مائدة كبيرًا ملفوفًا على أشياء وثلاثة كتب مربوطة .

هنا رأى هكستر فشهق ثم استدار لليسار وبدأ يجرى . صاح هكستر :

ـ « توقف !.. لص ! »

وراح يجرى خلف الرجل . ودار حول ركن الكنيسة . لا يعرف كيف شعر بأن شيئًا أمسك بقصبة ساقه فلم يعد يجـرى .. لقـد طار فى الهواء . رأى الأرض تضرب وجهه ومن الكون انبعـث مليون وهج ضوئى . ولم يعد يعرف ما يدور بعد ذلك ..



الفصل الحـادى عشر

فى حانة العربة والخيول

لنفهم ما حدث داخل الحانة ، علينا أن نرجع إلى اللحظة التى رأى فيها مستر هسكتر مستر مارفيل من النافذة .

فى ذات اللحظة كان مستر كاس الطبيب ومستر بونتنج فـى قاعة الاستقبال . كانا يتحريان ما خلَّفـه الغريـب مـن آثـار ، ويتفحصان متاعه . لقد عاد جارفيرز للدار مع رفاقه وقـد بـدأ يتعافى من سقطته ، بينما جمعت مـسز هـول ثيـاب الغريـب المتناثرة ونظَّفت الغرفة .

على المنضدة قرب النافذة حيث اعتاد الغريب أن يعمل ، وجد مستر كاس ثلاثة مجلدات تحمل عنوان (يوميات) . فهتف :

ـ « يوميات .. سوف نعرف شيئًا .. »

ووقف القس وقد أسند يديه إلى المنضدة بينمـا فـتح كـاس مجلدًا من المجلدات وقال :

ـ « يوميات !.. همم .. لا اسم على الغلاف .. مجرد رسوم إيضاحية وكتابة بالشفرة .. »

نظر القس من فوق كتفه . قلب كاس الصفحات وقد خاب أمله . فقال القس :

ـ « ألا توجد رسوم توضح كل شىء ؟ »

ـ « انظر بنفسك .. هناك معادلات وهناك كتابة بلغة غريبـة ربما كانت الروسية (لو اعتمدنا على شكل الحـروف) وربمـا كانت يونانية... أنت تعرف اليونانية .... »

شعر مستر بونتنج بحرج ومسح عويناته لأنه لم يكن يـذكر حرفًا من اليونانية .. قال :

ـ « نعم .. يونانية .. هذا يضىء الطريق نوعًا .. لكن دعنا نقلب الصفحات لنأخذ فكرة عامة .... »

وسعل وأعاد وضع عويناته . وتمنى أن يحدث شـىء ينهـى الفضيحة التى لا مفر منها ..

هنا انفتح الباب فجأة ..

استدار الرجلان فى رعب فاستراحا لمَا رأيا وجهـا متـوردًا يعتمر قبعة مشعثة ، وينظر لهما فى حيرة . قال له القس :

— « الناحية الأخرى يا صديقى .. وأرجوك أن تغلق الباب .. »

قال المقتحم بصوت خفيض غريب :

— « ليكن .. سأنظف الغرفة .. »

وأغلق الباب . قال القس :

— « بحّار لو كان لى أن أحكم على مظهره .. قوم ظرفاء هم .. (سأنظف الغرفة) .. مصطلح من مصطلحات البحرية بمعنى أنه سيترك لنا الحجرة .. »

قال كاس :

— « فعلاً .. لكن أعصابى تالفة تمامًا لهذا وثبت عندما فتح الباب .. »

قال القس :

— « ما زلت لا أستوعب هذا الذى حدث ولا أصدقه .. وأتساءل إن كنت قد رأيت من قبل مشعوذًا بارعًا ...... »

— « لن أجادل فى هذا .. دعنا نعد النظر فى الكتب .. »

وفتح كتابًا وراح يمرر إصبعه على الحروف وقال :

— « هذه .. كتابة إغريقية بالتأكيد .. »

قرب القس أنفه من الحروف .. وكأنه يجد متاعب مع عويناته . وإذ فعل هذا شعر بشىء غريب فى مؤخرة عنقه .. حاول أن يرفع رأسه لكنه وجد مقاومة عظيمة . كان هناك ما يضغط عليه ويثبت ذقنه للمنضدة . وهمس صوت :

— « لا تتحركا أيها السيدان وإلا هشمت مخيكما .. »

نظر القس جواره فرأى وجه كاس وقد ارتسم عليه انعكاس دقيق لما يشعر به من رعب .

— « آسف لغلظتى .. لكن لا مفر لى .. منذ متى تعلمتما أن تنقبا فى الأوراق الشخصية لواحد غير موجود ؟ ..... »

وارتطم الذقنان بالمنضدة واصطكت الأسنان .

— « منذ متى تعلمتما اقتحام غرف الأشخاص الغائبين ؟ »

وعاود ضرب الرأسين .

— « أين وضعوا ثيابى ؟.. النوافذ مغلقة وأنا رجل قوى ومحراك النار هنا .. كما إننى خفى .. لا تشكا فى أن بوسعى قتلكما والفرار .. هل تفهمان ؟.. لو أطلقت سراحكما فلسوف تنفذان ما أقول .. »

تبادل الرجلان النظرات وقال كاس :

ـ « نعم .... »

هنا خف الضغط عليهما وجلس الرجلان محتقنى الوجهين .

قال الغريب :

ـ « ابقيا حيث أنتما .. عندما جئـت هنـا توقعـت أن أجـد يومياتى وثيابى .. لكنى لا أجدها .. إن الجو مناسب نهارًا لرجل غير مرئى كى يركض عاريًا لكن الليل لا يسمح بهذا .. لذا أريد ثيابى وحاجياتى ، وقبل كل شىء أريد هذه الكتب .. »

الفصل الثانى عشر

الرجل الخفى يفقد أعصابه

من المحتم أن يتوقف الراوى قليلاً عند هذه النقطـة لـسبب قاس سوف يتضح حالاً .

بينما كانت هذه الأحداث تدور فى قاعة الاسـتقبال ، وبينمـا هكستر يراقب مارفيل يدخن جوار البوابة ، كـان مـستر هـول وتيدى هنفرى يناقشان قضية الساعة فى إيبـنج . فجـأة دوت ضربة قوية على الباب وصرخة قوية ثم ساد الصمت .

تعامل مستر هول مع الأمر ببطء ولكن بثقة :

ـ « ثمة شىء خطأ .... »

وهرع مع تيدى للباب بوجهين مصممين . هنا شـما رائحـة كيماوية غير محببة . وكان هناك صوت محادثة فصاح هول :

ـ « هل أنتما بخير هناك ؟ »

توقفت المحادثة المكتومة وساد الصمت .. ثم عادت المحادثة ودوى صوت من يقول :

— « لا . لا تفعل ! »

صوت مقاومة تعالى فعاد هول يتساءل عما يحـدث . جـاءه صوت القس يقول :

— « كله تمام .. فقط لا تتدخل .. أرجوك .. »

قال مستر هول :

— « غريب هذا .. »

وجاء صوت القس يقول :

— « لن أفعل هذا .. أرجوك .. هذا ليس بوسعى .. »

تساءل هنفرى :

— « ما عساه يكون هذا ؟.. مع من يتكلم ؟ .... »

جاءت مسز هول لتمارس هواية الزوجات المحبة فى الاعتراض ، وقالت إنها لا تسمع شيئًا وإنها لا تفهم سبب الرعب على وجهى الرجلين . فتح أحدهما الباب ليظهر باب هكستر .. كان هكستر واقفًا وقد جحظت عيناه من الانفعال وكان يصرخ :

— « أوقفوا اللص !! »

ثم ركض نحو الفناء وتوارى . رأى هـول وبعـض النـاس المشهد فافترضوا أن الرجل الخفى صار مرئيًا وحسبوه هـو مستر مارفيل وانطلقوا بحثًا عنه . لكن هول ركض اثنتى عشرة ياردة قبل أن يصرخ ويطير فى الهواء .. وأسقط معه أحد العمال . حاول عامل ثان أن يواصل المطاردة لكنه تلقى ضربة أطاحت به ، وهى ضربة يمكن أن تصرع ثورًا .

كانت مسز هول فى الدار جوار البار ، عندما انفتح الباب فجأة وظهر كاس .. اندفع نحو الركن وصرخ :

— « أمسكى به ! .. »

ولم يعرف أن الرجل الخفى أعطى كل الكتب والحزمة لمستر مارفيل فى الفناء .

كان وجه كاس غاضبًا لكن ثيابه كانت فى حال سيئة فلم يعد عليه ما يستره تقريبًا . وصاح :

— « أمسكوه !.. لقد سرق سروالى ! وكل ثياب القس ! »

هنا تعثر وسقط على الأرض ، وداس شخص مسرع على أصابعه فصرخ ألمًا ونهض ثم سقط على أربع .

الكل كانوا يركضون نحو القرية .. نهض من جديد فتلقى لكمة على مؤخرة أذنه . هرع إلى حانة (العربة والخيــول) وســمع من ورائه صوت صفعة أخرى .. وصوت الرجل الخفى ...

لقد تغير تعامل الرجل الخفى .. لم يكن مزاجه لطيفًا فــى أى وقت من قبل ، لكن اليوم بدا أنه فقد أعصابه تمامًا وأنه يضرب الناس لمجرد أنه يتلذذ بذلك ..

لقد تحول الاحتفال إلى فوضى وانقلبت الخيام وتمزقت الأعلام .. اختفى الناس من الشوارع ، ومن كل صوب كنت تسمع صــوت نافذة تغلق ومزاليج تنزلق .. لا أثر لبشر سوى لعين تتلــصص من وراء زجاج نافذة ..

تسلى الرجل الخفى لفترة بتهشيم كل نوافذ حانـــة (العربــة والخيول) . ولابد أنه هو من قطع خط التلغراف إلى أبردين عند كوخ هجنز .

ثم تلاشى تمامًا .. لم يعد أحد يراه أو يسمعه .. لكــن مــرت ساعتان قبل أن يجرؤ مخلوق على المشى من جديد فى شوارع إيبنج المقفرة .

الفصل الثالث عشر

مستر مارفيل يناقش الاستقالة

عندما جاء الغسق ظهر رجل قصير مكتنز يلبس قبعة مشعثة ويمشى فى ضوء الشفق على طريق برامبلهيرست . كان يحمل ثلاثة كتب مربوطة معًا برباط مطاطى وحزمة ملفوفة بــشرشف مائدة أزرق . وكانت ملامح وجهه تعبر عن القنــوط والتعــب ، وكان فى حالة متشنجة من العجلة .

جواره كان صوت آخر ليس صوته .. ومن حين لآخر يبــدو أن يدًا غير مرئية تلمسه .

قال الصوت :

ــ « لو حاولت أن تفر ثانية .. لو حاولت أن تفر ثانية .. »

هتف مستر مارفيل :

ــ « بالله عليك .. لقد صار كتفى كتلة من الرضوض .. »

ــ « بشرفى .. سوف أقتلك .. »

قال مارفيل بصوت أقرب للبكاء :

— « بشرفى لم أحاول أن أفر منك .. كنت شاردًا .... »

— « ولسوف تشرد أكثر عندما أنتهى منك .... »

صمت مستر مارفيل . وفى عينيه ساد القنوط .. بينمــا قــال الرجل الخفى :

— « لسوف يعرف الناس جميعًا أننى خفى .. ســوف تكتــب الصحف عنى وسوف يبحث عنى الجميع .. فماذا أفعل ؟ »

ازداد الرعب فى عينى مارفيل . بينما قال الصوت :

— « لا تسقط هذه الكتب يا أحمق .. الحقيقة هى أننى يجــب أن أستعملك .. أنت أداة رديئة لكن على أن أفعل هذا ..... »

قال مارفيل :

— « أنا أداة تعسة .. »

— « بالفعل .. »

بعد صمت طال قال مارفيل :

— « أنا لست قويًا على الإطلاق .. »

— « حقًا ؟ »

— « وقلبى ضعيف .. لقد قمت بما طلبت منى لكن كان مــن الوارد أن أسقط ميتًا فى أية لحظة .. »

— « إذن ؟ »

— « لا أملك الأعصاب ولا القوة للقيام بما تطلبه منى .. ليتنى مت قبل هذا .. هذا ليس عادلاً .. »

قال الصوت :

— « انهض .. لو لم تخرس فلسوف ألوى معصمك ثانيــة .. سوف أضع يدى على كتفك طيلة الوقت ، فلو حاولــت الهــرب لكانت التبعات قاسية جدًا عليك .... »

— « أعرف هذا .. أعرفه جيدًا .. »

ومر الرجل ذو القبعة المشعثة عبر شــوارع القريــة حــاملاً همومه . واختفى فى الظلام تحت أضواء النوافذ .

الفصل الرابع عشر

فى بورت ستوى

فى العاشرة صباح اليوم الثانى ، ظهر مستر مارفيل غير حليق الوجه متسخًا وبعض الكتب بجواره ، ويداه فى جيبيه وقد بدا عليه التوتر والإرهاق وهو ينفخ خديه من وقت لآخر ، وقد جلس على مقعد خارج الحانة الصغيرة على حدود بورت ستوى . لقد بدل الربطة التى تضـم الكتب ، كمـا تخلص من الربطة فى الأحراش بما يتفق مع خطط الرجل الخفى الجديدة .

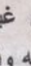
لم يلحظه أحد ، لكنه ظل خائفًا . وراح يلعب فى جيوبه بعصبية لا تتوقف لحظة . ظل جالسًا نحو ساعة عندما جاء بحار مسن يحمل صحيفة ، وجلس جواره وقال :

ـ « يوم طيب .... »

نظر مستر مارفيل حوله فى رعب . وقال :

ـ « جدًا .. »

ـ « طقس معقول بالنسبة لهذه الفترة من السنة .... »



ظل البحار يتفحص مارفيل بعينيه لفترة ، هنا سمع صوتًا شبيهًا بصوت عملات تلقى فى جيب . بدا له هذا الصوت غريبًا يتناقض مع فقر مارفيل الواضح . نظر للكتب ثم قال :

ـ « كتب .. فيها أشياء مذهلة هذه الكتب .. »

ـ « نعم ..... »

ـ « وكذلك فى الصحف .. هذه الجريدة فيها قصة غريبة عن رجل خفى على سبيل المثال ..... »

لوى مستر مارفيل شفتيه وحك خديه وشعر بأذنيه تتوهجان ..

ـ « أتساءل عما سيكتبون بعد ذلك .. »

هتف مستر مارفيل فى رعب :

ـ « رجل خفى ؟.. أتساءل ماذا يريد ؟ »

قال الرجل وهو يرمق مارفيل بعينه الثاقبة :

ـ « يريد كل شىء ..... »

ـ « لم أر صحيفة منذ أربعة أيام .. »

ـ « لقد بدأ كل شىء فى أيبنج .. وها هى ذى الأخبار من أيبنج .. تقول إن كل شىء ثابت ومؤكد .. كان يقيم فى حانة (العربة والخيول) حتى وقعت مشاجرة وتمزقت أربطة رأسه .. حاولوا اعتقاله لكنه نزع ثيابه بسرعة فصار خفيًا وفر .... »

قال مارفيل فى عصبية :

ـ « هذه .. هذه قصة مذهلة .. »

ـ « أليس كذلك ؟.. المرء يسمع اليوم قصصًا عجيبة حقًا ... »

ـ « لكن .. أليس له رفاق أو معاونون ؟.. ألم يقولوا هذا ؟ »

ـ « لماذا ؟.. ألا يكفيك واحد ؟.. فكرة مفزعة جدًا أن تتخيل أن هذا الفتى حر .. أن يكون واقفًا بجوارك .. ربما يريد أن يسرقك فمن يمنعه ؟.. يمكنه أن يجتاز (كوردون) من رجال الشرطة كأنك تصفع رجلاً أعمى .... »

كان مستر مارفيل يصغى وهو يتلفت حوله كأنه يتنصت .. وفى النهاية وضع يده على فمه وقال همسًا :

ـ « الحقيقة هى ... إننى أعرف شيئًا أو شيئين عن هذا الرجل الخفى .. من مصادر خاصة .... »

ـ « حقًا ... ؟ »

ـ « نعم .. الحقيقة هى أن ..... »

فجأة تبدل تعبير وجهه .. وصاح :

ـ « أى !! »

ونهض من جلسته .. بدا العذاب على وجهه .. فسأله البحار عما دهاه .

ـ « ألم أسنان .. »

قالها وهو يضع يده على أذنه .. وتناول الكتب ونهض مسرعًا معلنًا أنه يجب أن ينصرف .

ـ « قلت إنك ستخبرنى عن هذا الرجل الخفى .. »

ـ « خدعة .. مجرد خدعة .... »

ـ « لكنها فى الجريدة .... »

ـ « لكنها ما زالت خدعة .. أنا أعرف الشاب الذى بدأ هذه الكذبة .. لا تصدق .... »

ـ « هل تريد القول ؟ »

ـ « نعــم ..... »

هنا نهض البحار وهو يطبق على الجريدة ، واحمر وجهه وكور قبضته وصاح :

ـ « إذن لماذا تركتنى أكمل القصة وأجعل من نفسى أحمق ؟ .. يا ذا الوجه الجلدى .. يا بن الحذاء ! »

هنا نهض مارفيل مبتعدًا وهو يتلوى بطريقة غريبة .. مشى فى خط مائل وبدا كأنه يكلم نفسه ويشوح بيديه ويحتج بلا سبب .

جلس البحار متباعد الساقين وقد وضع يديه فى خاصرته وقال لنفسه :

ـ « شيطان سخيف .. سوف أريك أيها الغبى .. إن هذا كله فى الصحيفة .. »

لكن مستر مارفيل كان قد توارى عند منحنى الطريق . وكان آخر ما خيل للبحار أنه رآه هو نقود تمشى من دون يد تحملها متجهة نحو زقاق سان ميشيل . فى الحقيقــة تكرر هذا المشهد

مرارًا فى ذلك اليوم .. طارت قبضات مال عديدة لتستقر فى جيب الرجل ذى القبعة المشعثة .

فقط فيما بعد عندما عرفت قصة (بردوك) كاملة قام سكان البلدة بجمع أطرافها ، وعرفوا علاقة الرجل القصير المكتنز بالرجل الخفى .



الفصل الخامس عشر

الرجل الهـارب

فى ساعة مبكرة من الليل جلس د. كيمب فى مكتبه بالشرفة المطلة على بوردوك . كانت غرفـــة جميلة ذات ثلاث نوافذ وأرفف كتب عليها كتب عديدة . وتحـــت النافذة الشمالية كان هناك مجهر وبعض أنابيب الاختبـــار . وبرغم أن الضوء كان متوافرًا فقد أضاء المصباح ورفع الستائر لأنه لا يخشى أن يتلصص عليه الفضوليون .

كان د . كيمب شابًا نحيلاً له شعر كتانى وشارب شبه أبيض ، وكان عاكفًا على عمل يأمل فى أن يضمن له عضوية الجمعية الطبية الملكية . كان يرمق غروب الشمس خلف التل .. فجأة رأى رجلاً يركض عبر التل متجهًا نحوه .

قال لنفسه :

ـ « واحد آخر من هؤلاء الحمقى .. لا أعرف ما حل بهؤلاء القوم .. يحسب المرء أننا فى القرن الثالث عشر .. »

نهض واتجه للنافذة ونظر إلى التل المظلم والرجل الذى يركض :

ـ « يبدو أنه متعجل جدًا لكنـــه لا يتحرك بسرعة .. لو كان جيباه مليئين بالرصاص لجرى أسرع .. »

ومن مكان ما نبح كلب .. وسمع من مر الرجل بجوارهم صوت أقدام تضرب الأرض وصوت لهاث .. رأوا ملامح الرعب على وجهه .. فتعالت الصيحات :

ـ « إنه قادم .. الرجل الخفى هنا وقادم ! »

وهرع الناس يتوارون فى ديارهم ويغلقون الأبواب ...

الفصل السادس عشر

فى حانة (جولى كريكترز)

تقع حانة (جولى كريكترز) أسفل التل حيث يبدأ خط الترام . كان الساقى يريح ذراعيه المكتنزين على الكاونتر ويتكلم عن الخيول مع رجل شاحب ، بينما رجل ملتح يثرثر بلكنة أمريكية مع رجل شرطة .

قال الرجل الشاحب :

ـ « ما سبب هذا الصراخ ؟ »

وهو يحاول أن يرى ما يدور عند التل عبر الستار المتسخ الأصفر على النافذة . هناك من جرى بالخارج .. فقال الساقى :

ـ « ربما هو حريق .... »

وتعالى صوت خطوات تقترب . انفتح الباب بعنف وظهر على الباب مارفيل وهو يبكى ، وقد ضاعت قبعته وانفتحت ياقة معطفه .. حاول أن يغلق الباب لكنه كان نصف مفتوح بوساطة حزام .

صرخ :

ـ « إنه آت !.. الرجل الخفى قادم !.. بالله عيكم أنقذونى .. أنقذونى ! »

صاح الشرطى :

ـ « أغلق الباب !.. من القادم وما سبب الضوضاء ؟ »

وهرع الأمريكى فأغلق البـــاب .. قـــال مارفيل وهو يتأرجح ويبكى لكنه يمسك الكتب :

ـ « دعونى أدخل .. قـــال إنه سيقتلنى لو حاولت الهرب ولسوف يفعل .. »

قال ذو اللحية السوداء :

ـ « أنت فى أمان .. الباب موصد .. »

هنا ارتج الباب بضربة قوية من الخارج ، فصاح رجل الشرطة :

ـ « هيه .. من هناك ؟ »

ـ « سوف يقتلنى .. إن معه سكينا أو شيئا كهذا .... »



فتح له الساقى البـــار كى يتوارى خلفـــه فهرع مارفيل يختبئ وهو يردد :

ـ « لا تفتحوا له ! »

قال ذو اللحية :

ـ « إذن أنت تتكلم عن الرجل الخفى ؟.. يبدو أن الوقت حان كى نراه .... »

فجأة تهشم زجاج الحانة ودوى صوت صراخ ثم جاء صوت من يركض فى الشارع . بينما وقف رجل الشرطة يحاول إلقاء نظرة للخارج ليرى من يقف هناك .

فجأة ساد الصمت .. قال رجل الشرطة :

ـ « ليت هراوتى معى .. »

واتجه للباب وقال :

ـ « لو فتحنا لدخل ولن يوقفه شىء .. »

قال الرجل الشاحب فى توتر :

ـ « لا تتعجل بصدد الباب .... »

قال ذو اللحية :

ـ « أغلق المزاليج .. فلو دخل ...... »

وأظهر مسدسًا فى يده . فقال الشرطى :

ـ « هذا لن نفعله .. إنه اغتيال .... »

ـ « أعرف فى أى بلد نحن .. سوف أطلق على ساقيه .. افتح المزلاج .. »

اتجه الرجل إلى المزاليج وأزاحها .. وقال وهو يواجه الأبواب :

ـ « تعال .. »

لم يدخل أحد وظلت الأبواب مغلقة .. وبعد خمس دقائق عندما جاء للبار رجل آخر كانوا بعد ينتظرون . هنا أطل رأس مارفيل القلق من وراء البار وقال :

ـ « هل كل شىء موصد ؟ لو تمكن من الدخول فاعلموا أنه واسع الحيلة ... »

هنا صاح الساقى وهو يهرع مغادرًا المكان :

ـ « ويلى .. لقد نسينا الباب الخلفى للحانة ! »

ثم برز وهو يحمل سكينًا وتدلت شفته السفلى المكتنزة وقال :

ـ « الباب !... ربما كان معنا الآن ! »

ثم أضاف :

ـ « ليس فى المطبخ .. هناك امرأتان وقد طعنت كل جزء من الهواء بهذا السكين .. والمرأتان لم تلحظا شيئًا .. »

هنا انفتح باب البـــار وسمعوا مارفيـــل يصرخ صراخًا رفيعًا فهرعوا لغوثه . دخل الساقى البار فوجد مارفيل متكورًا متمسكًا بالباب الذى يقود للفناء الخلفى والمطبخ . انفتح الباب بقوة وجذب شىء ما مارفيل إلى المطبخ .. دوى صراخ وصوت تهشم ... ثم انغلق باب المطبخ عليه .

اندفع رجل الشرطة وتمسك بمعصم الرجل الخفى الذى طوق عنق مارفيل فتلقى ضربة ألقت به للخلف . أمسك أحد الرجال بشىء ما من ياقته . وصاح :

ـ « لقد أمسكت به !.... »

وغرس مخالبه فى شىء ما :

ـ « ها هو ذا .. »

ســـقط مســـتر مارفيـــل على الأرض فحـــاول أن يتـــوارى وراء سيقان الرجال المتصارعين . للمرة الأولى ســـمعوا صـــوت الرجـــل الخفى .. كـــان يصرخ لأن رجل الشرطة داس على يده ..

فجأة صرخ الرجل الذى يقاتله وتكور على نفسه إذ تلقى ركلة تحت الحجاب الحاجز . وفجأة وجد الرجال أنهم يقاتلون الهواء الخالى .

صاح الرجل ذو اللحية :

ـ « أين ذهب ؟.. خرج ؟ »

هرع رجل الشرطة إلى الفناء ليرى فطارت قطعة من الملاط جوار رأسه لتسقط على منضدة المطبخ .

صاح ذو اللحية السوداء :

ـ « سوف أريه ! »



والتمعت فوهـــة المسدس وطارت خمس رصاصات فى ضوء الشفق . كان يحرك يده فى منحنى أفقى حتى تشع طلقاته فى الفناء كالشمس .

ساد الصمت فقال الرجل :

ـ « خمس طلقات .. هذا أفضل شىء ممكن .. هاتوا مصباحًا وتعالوا نفتش عن جسده .. »

الفصل السابع عشر

زائـر د. كيمب

واصل د . كيمب الكتابة فى مكتبه حتى أزعجته الطلقات . ثم كراك .. كراك .. كرا !

وضع القلم فى فمه وأصغى ..

ـ « من يطلق المسدسات فى بوردوك ؟.. ماذا يفعله هؤلاء الحمقى ؟ »

اتجه للنافذة وفتحها وراح يرمق الظلام . لم يعد يرى سوى أسقف البيوت التى تشكل المدينة فى الليل . وقال :

ـ « يبدو أن الصوت قادم من (الكريكترز) .. »

كان القمـــر فى الربع الأول عنـــد الهضـــبة الغربية والنجوم واضحة ولامعة جدًّا . راح يفكر لخمس دقائق فى المستقبل فلم يشعر بالوقت ، ثم تنهد وأغلق النافذة وعاد لمكتبه .

لابد أن ساعة مرت عندما دق جرس الباب . جلس ينصت منتظرًا أن تجيب الخادمة وأن يسمع صوت قدميها على الدرج ، لكنها لم تأت . قال لنفسه :

ـ « ترى من كان هذا ؟ »

حاول أن يعود للعمل لكنه لم يستطع .. فهبط إلى الطابق السفلى ونادى الخادمة إذ ظهرت فى الردهة وسألها :

ـ « أكان هذا خطابًا ؟ »

قالت :

ـ « يبدو أنه شخص عابر قرع الجرس وانصرف يا سيدى ..... »

عاد لمكتبه وواصل العمل . لم يعد من صوت فى الغرفة سوى دقات الساعة وصوت ريشته على الورق ، وسط دائرة الضوء التى يلقيهـا المصباح على الورق . فى الثانية صباحًا قبـل أن ينهى عمل الليلة نهض وتثاءب واتجه لفراشه .

نزع المعطف والسترة عندما تذكر أنه يشعر بظمأ . أخذ شمعة واتجه لغرفة الطعام . لقد جعله البحث العلمى قوى الملاحظة جدًا وإذ عبر الردهة لاحظ بقعة سوداء أسفل الدرج . قرر أن يهبط ليعرف كنه هذه البقعة . انحنى وتفحصها فوجد أنها فى كثافة ولزوجة الدم الجاف .

اتجه للطابق العلوى وهو ينظر حوله بحثًا عن تفسير . على باب غرفته تصلب وقد أدرك أن مقبض الباب ملوث بالدم .

نظر ليده .. كانت نظيفة تمامًا ثم تذكر أنه فتح باب غرفته عندما خرج من المكتب وهو لم يمس المقبض قط . عاد لغرفة نومه ووجهه لا يشى إلا بالهدوء .

نظر إلى الفراش .. لاحظ بقعًا من الدم وأن الملاءة ممزقة . لم يلحظ هذا من قبل لأنه كان يبدل ثيابه . لاحظ أن جانب الفراش منخفض كأن هناك من كان ينام هنا . ثم خيل له أنه يسمع صوتًا خفيضًا يقول :

ـ « يا للسماء !... كيمب ! »

وقف ينظر للملاءات .. هل هذا صوت حقًا ؟.. نظر ثانية لكن لم ير شيئًا .. ثم أحس بحركة عبر الغرفة قرب حوض الغسيل . كل الرجال مهما كانوا من ذوى التعليم العالى لابد أن يحتفظوا ببعض التطير . شعر بمزيج من الرعب والتوجس . أغلق باب الغرفة ودنا من منضدة الثياب .. هنا رأى فى رعب جزءًا من الملاءة مبللاً بالدم معلقًا فى الهواء .

نظر له فى ذهول .. كان ضمادة خالية . تقدم ليمسك بها لكن لمسة أوقفته وسمع صوتًا هادئًا يقول :

ـ « كيمب ! »

فتح كيمب فمه وقال :

ـ « هه ؟ »

ـ « تماسك .. أمسك أعصابك .. أنا رجل خفى ! »

لم يرد كيمب للحظة وظل يرمق الضمادة .. ثم قال :

ـ « رجل خفى ؟ »

وتذكر القصة التى سمعها صباحًا ووجدها بالغة السخف .. لكن لم يبد خائفًا أو مذهولاً ..

قال :

ـ « حسبتها كذبة .. هل أنت تضع ضمادات ؟ »

قال الرجل الخفى :

ـ « نعـــم .... »

نهض كيمب وقال :

ـ « لكن هذا هراء .. هذه خدعة ما .... »

ومد يده نحو الضمادة فاصطدم بأصابع غير مرئية .. فتراجع للخلف وشحب ..

ـ « لا تتحرك يا كيمب .. بالله عليك أنا بحاجة لعون أكيد ... »

وتمسكت اليد بيده فشعر بأنه يقذف على الفراش . فتح فاه ليصرخ لكن الملاءة دخلت بين أسنانه . لقد قبض عليه الرجل الخفى لكن ذراعيه ظلتا حرتين وقد راح يضرب بعنف .

قال الرجل الخفى :

ـ « أصغ للعقل .. بالله عليك سوف تدفعنى للجنون حالاً .... »

فى النهاية همد كيمب . فقال الرجل الخفى :

ـ « لو صرخت لهشمت وجهك .. أنا فعلاً رجل خفى .. هذا ليس سحرًا .. وأريد مساعدتك .. لا أريد أن أؤذيك لكن سأضطر لهذا لو تصرفت كالمجانين .. ألا تتذكرنى يا كيمب ؟.. أنا جريفن . زميل الجامعة .. »

قال كيمب :

ـ « دعنى أنهض أولاً .. سأبقى حيث أنا .. »

وتحسس عنقه بينما قال الصوت :

ـ « أنا جريفن زميل الجامعة .. لقد جعلت من نفسى خفيًا ... »

ـ « جريفن ؟ »

قال الصوت :

ـ « نعم .. جريفن .. طالب أصغر منك .. أمهق .. ارتفاعه ستة أقدام عريض المنكبين له وجه أبيض وردى وعينان حمراوان ، وفاز بميدالية الكيمياء .. »

ـ « مخى مضطرب .. ما دخل هذا بجريفن ؟ »

ـ « أنا جريفن .. »

ـ « لكن .. أية معالجة شيطانية يمكن أن تجعل المرء غير مرئى ؟ »

ـ « ليست معالجة شيطانية .. إنها عملية منطقية .. »

ـ « هذا مخيف ! »

ـ « مخيف فعلاً .. لكن أنا جريح وأتألم .. هلم يا كيمب .. تماسك .. هات طعامًا ومشربًا ودعنى أجلس .. »

ورأى كيمب مقعدًا جوار الفراش ينجذب .. ثم يصدر صريرًا وينضغط كأن هناك من جلس عليه ، فحك عينيه وتحسس عنقه وضحك فى غباء قائلاً :

ـ « هذا يفوق الأشباح ! »

ـ « هذا أفضل .. أنت تتكلم بمنطق .. »

قدم كيمب لضيفه بعض الشراب فرأى الكأس تتحرك بعيدًا عنه .. توقفت الكأس فى الهواء على بعد عشرين بوصة فوق حافة المقعد .. فقال فى ذهول :

ـ « هذا .. هذا تنويم مغناطيسى .. أنت أوحيت لى بأنك خفى .. »

ـ « كلام فارغ .... »

ـ « أنا أثبتُ صباح اليوم أن الرجل الخفى .... »

ـ « لا يهمنى ما برهنت عنه .. أنا أموت جوعًا .. الليل بارد جدًا بالنسبة لرجل بلا ثياب . هل لديك ثياب ؟ »

اتجه كيمب لخزانة ثيابه وانتقى روبًا قرمزيًا وقال :

ـ « هل هذا يصلح ؟ »

أخذ الروب منه .. تدلى للحظة فى الهواء ثم التف حول نفسه وانغلق وجلس على المقعد :

ـ « الجوارب والخف ستكون مفيدة جدًا .. »

نزل كيمب إلى مخزن الأطعمة وعاد ومعه بعض شرائح اللحم والخبز ، ثم جذب منضدة ووضعها أمام الضيف فقال هذا :

ـ « لا تهتم بالسكاكين .. »

وفى الجو ارتفعت قطعة لحم وتعالى صوت مضغ . قال كيمب وهو يجلس على الفراش :

ـ « خفى !!! »

واصل الرجل الخفى التهام الطعام وقال :

ـ « من الغريب أن أدخل بيتك أنت بالذات لأجد ضمادة .. هذا أول حظ لى .. على كل حال اعتزمت النوم هنا هذه الليلة . لابد أن تقبل هذا برغم أنه مزعج .. دمى ظاهر .. أليس كذلك ؟.. تبدو الدماء ظاهرة مع الوقت ... فقط الأنسجة الحية هى التى تبقى خفية ، وهذا طالما أنا حى .... »

سأله كيمب :

ـ « كيف تفعل هذا ؟.. هذا الموضوع غير منطقى بالكامل .. »

ـ « بل منطقى تمامًا .... »

ومد يده ليخرج زجاجة الويسكى .. بينما راح كيمب يرمق الروب الذى يلتهم الطعام . سأله :

ـ « كيف بدأ إطلاق النار ؟ »

ـ « كان هناك أحمق .. معاون لى عليه اللعنة .. حاول أن يسرق مالى .... »

ـ « هل هو خفى كذلك ؟ »

ـ « لا .. لكنى أتضور جوعًا وأنت تريد أن أحكى لك قصصًا .. »

سأله كيمب وهو ينهض :

ـ « أنت لم تطلق رصاصًا ؟ »

ـ « ليس أنا .. كلهم يخاف منى عليهم اللعنة .. أريد المزيد من الطعام يا كيمب .. »

قال كيمب :



ـ « سأنظر فى الطابق السفلى لأرى ما يمكن أكله .. ليس كثيرًا للأسف .. »

أنهى الرجل وجبته ثم طلب سيجارًا .. كان من العجيب أن تراه يدخن حيث صار فمه وأنفه مرئيين فى الدخان . قال لكيمب :

ـ « أنا محظوظ لأننى وجدتك يا كيمب .. لابد أن تساعدنى .. إننى فى ورطة شيطانية .. أشك فى أننى جننت .. أنت لم تتغير يا كيمب طيلة هذه السنين .. أنتم أيها الرجال المثاليون لا تتغيرون .. منطقيون منظمون .. لكن تأكد من أننا سنعمل معًا ! »

سأله كيمب :

ـ « لكن كيف ؟.. كيف وصلت لهذا ؟ »

ـ « بالله عليك دعنى أدخن فى سلام قليلاً .. بعدها أخبرك .. »

لكنه لم يحك القصة تلك الليلة فقد كان معصمه يؤلمه بشدة وارتفعت حرارته . كلامه كان غير مترابط وقد حاول كيمب أن يستخرج شيئًا من هذه الكلمات .

ـ « كان خائفًا منى .. عرفت أنه خائف منى .. أراد أن يفر .. كنت أحمق .. كان على أن أقتله ! »

سأله كيمب :

ـ « من أين جئت بالمال ؟ »

ساد الصمت قليلاً ثم قال الرجل الخفى :

ـ « لا أستطيع هذه الليلة .... »

وأصدر أنينًا ثم قال :

ـ « كيمب .. أنا لم أنم فى الأيام الماضية إلا لحظات .. يجب أن أنام .. »

ـ « إذن خذ غرفتى .. »

ـ « وكيف أنام ؟.. لو نمت لهرب .. لكن ما المشكلة ؟.. رباه !.. لكم أحتاج إلى النوم !.. ولكنى أكره أن يقبض على وأنا نائم .. »

وللحظة بدا أن الرجل الخفى يراقب كيمب قليلاً ثم قال :

ـ « أنا أحمق .. »

وضرب المنضدة بقبضته :

ـ « لقد وضعت الفكرة فى ذهنك ! »

الفصل الثـــامن عشر

الرجل الخفى ينـام

برغم أنه كان مرهقًا وجريحًا ، فإن الرجل الخفى لم يستطع قبول وعد كيمب أن حريته سوف تحترم .

تفحص شباكى غرفة النوم وتأكد أن الفرار عبرهما ممكن ، فوجد الليـل بالخـارج هادئًا صامتًا والقمر يستقر فى الأفق . تفحص مفاتيح غرفة النــوم وخزانة الثياب . فى النهاية أعلن رضاه عن الموقف وارتفع صوت تثاؤبه إذ وقف على البساط . قال :

ــ « أنا آسف .. ليس بوسعى أن أخبرك بكل ما قمت به الليلة لكنى مرهق فعلاً .. الأمر غريب وربما مخيف لكن صدقنى يا كيمب .. هذا ممكن .. أنا بحاجة لشريك لى فى هذا السر .. معًا يمكن العمل فى أشياء مماثلة .. لكن الآن يجب أن أنام .. »

وقف كيمب فى منتصف الغرفة يرمق الروب الخالى الواقف أمامه وقال :

ــ « هذا يهدم كل تصوراتى .. أعتقد أننى سوف أجن .. لكن هل من شىء آخر أجلبه لك ؟ »

ــ « فقط تمن لى نومًا سعيدًا .. »

ــ « عمت مساء .... »

قالها كيمب وصافح اليد غير المرئية ..

أغلق كيمب الباب خلفه فسمع المفتاح يدور فى القفل . وقف والدهشة على وجهه وضرب جبهته بكفه :

ــ « هل أحلم ؟ هل جن العالم أم جننت أنا ؟ »

ثم ضحك وقال :

ــ « مطرود من غرفة نومى بوساطة أعجوبة ..!.. هذه حقيقة .. »

ونزل فى الدرج إلى غرفة الطعام .. أشعل سيجارًا وراح يكلم نفسه مع تكرار لفظة (لكن) من وقت لآخر ..

ــ « خفى ؟.. هل هناك شىء اسمه (خفى) ..؟.. فى البحر نعم .. اليرقات وقنديل البحر .. وفى البرك .. هناك أشياء خفية أكثر من الأشياء المرئية .. لكن فى الهواء ؟ »

ــ « لو إن إنسانًا صنع من زجاج فلسوف يظل مرئيًا ..... »

أنهى ثلاثة من السيجار وهو يتأمل بعمق . ثم نهض واتجه لغرفة العيادة الخاصة به .. هناك كانت الصحف تنتظره وراح يقلبها حتى وجد مقال (القصة الغريبة فى أيبنج) .

عندما امتزج ضوء الفجر مع الدخان كان كيمب يذرع الغرفة محاولاً الفهم . شعر به الخدم الذين صحوا من نومهم وافترضوا أن الإفراط فى العمل قد أثر على عقله . طلب منهم أن يعدوا الإفطار لاثنين ثم يظلوا فى الطابق السفلى . راح يقرأ الصحف التى عرف منها تفاصيل المتسول مارفيل الذى كان خادمًا بالقوة للرجل الخفى ، لكن المتسول لم يذكر شيئًا عن الكتب الثلاثة ..

قرأ الصحف كلها وقال لنفسه :

ــ « إنه خفى فعلاً ... وهو فى الطابق العلوى من دارى .. يمكنه عمل أى شىء .. فماذا عساى أن أفعل ؟ »

فكر قليلاً ثم أحضر مذكرة وكتب فيها بعض كلمات ، ثم أحضر مظروفًا كتـــب عليـــه (إلى الكولونيل أديى ــ بورت بردوك) .

نهض الرجل الخفى فى ذات الوقت الذى كان كيمب يعمل فيه هذا .. كان كيمب متيقظ الحواس لكل صوت فسمع قدمى الرجل .. سمع كرسيًا يطير فى الهواء وعرف أن الرجل فى مزاج سيئ جدًا . سقط مغسل الوجه فأسرع كيمب لحجرة النوم وراح يدق الباب بعنف ..



الفصل التـــاسع عشر

القواعد الأولى الأساسية

تساءل كيمب عندما استطاع الدخول :

ـ « ما الخطب ؟ »

ـ « لا شىء .... »

ـ « لكن .. صوت التهشيم ! »

ـ « نسيت هذا الذراع .. وهو مجروح .. »

دخل كيمب والتقط بعض قطع الزجاج المهشم .. وقال :

ـ « كل الحقائق عنك فى الصحف .. العالم كله يعرف بأمر الرجل الخفى .. لقد ذاع السر وأنا أفترض طبعًا أنه سر .. أريد مساعدتك لكن لا أعرف كيف . هناك إفطار بالطابق العلوى .. »

نهض الضيف فاقتاده كيمب إلى قاعة الطعام . جلس كيمب إلى المائدة وقد عاودته الهواجس بصدد حالته العقلية ..

قال جريفن :

ـ « الأمر بسيط وسهل .. فى البدء بدا لى الأمر رائعًا .. لكن الآن .. رباه !... لقد حصلت على أول كمية فى شيلستاو .. »

ـ « شيلستاو ؟ »

ـ « ذهبت هنـــاك بعد ما تركت لنـــدن .. لقد تركت الطب واهتممت بدراسة الضوء .. الكثـــافة الضوئية .. هذا علم يشبه الضباب . فقط تضىء فيه بقاع من فهم مـــن حين لآخر .. كنت فى الثانية والعشرين فقررت أن أكرس حياتى لدراسة الموضوع .. تعرف كم نكون حمقى فى سن الثانية والعشرين . ظللت أعمل كالعبد ستة أشهر قبل أن أرى الضوء .. وجدت قاعدة لانكسار الأصباغ .. إن الناس حمقى لا يعرفون ما قد تعنيه صبغة معينة لدارسى الفيزياء الجزيئية . الفكرة هنا هى معالجة المادة دون تغيير خواصها بحيث ينخفض معامل انكسارها ليساوى معامل انكسار الهواء .. »

صاح كيمب :

ـ « ياه !.. هذا غريب .. يمكنك أن تغير خواص حجر لكن رؤيتنا للأشخاص تختلف .. »



ــ « صحيح .. رؤيتنا للأشياء تتوقف على تعاملها مع الضوء .. إما أن يعكس الشىء الضوء أو يمتصه أو يكسره .. لو لم يفعل أى شىء مـــن هـــذا صار خفيًا . الصندوق الأحمر أحمر لأنه يمتص كل الضـــوء فلا يعكس ســـوى الأحمر .. تخيل لو أنه لم يمتص أى شىء وعكس كل الضوء لصار لامعًا كمرآة فضية . الصندوق الزجاجى لا يقوم بالكثير من الامتصاص أو العكس .. بعض أنواع الزجاج شفافة عن سواها . من الصعب فى الضوء الخافت أن ترى صندوقًا من الزجاج الرخيص لأنه لا يمتص ضوءًا ولا يعكس أو يكسر أى ضوء . لكن لو وضعنا الزجاج فى الماء فلسوف يختفى .... »

قال كيمب :

ــ « هذا معقول .. »

ــ « لو سحقنا هذا الزجاج لصار مرئيًا كمسحوق أبيض لأنه يكسب الكثير من السطوح العاكسة . ضع المسحوق فى الماء ولسوف يختفى .. الزجاج المسحوق والماء لهما نفس معامل الانكسار .. كل شىء يصير شفافًا لو وضع فى وسط له نفس معامل الانكسار ... »

ــ « لكن الإنسان ليس مسحوق زجاج .. »

ــ « فعلاً ليس كذلك .. إنه أكثر شفافية !! »

ــ « كلام فارغ .... »

ــ « هل طبيب هو من يقول هذا الكلام ؟.. هل نسيت بهذه السرعة علم الفيزياء ؟.. الورق مثلاً مصنوع من ألياف شفافة .. الزيت يملأ الفجوات فلا يعود هناك انكسار أو امتصاص .. نفس الشىء ينطبق على العظام واللحم يا كيمب والشعر والأظفار .. كل الإنسان شفاف ما عدا الشعر والكرات الحمراء بالدم ..

« رحت أعمل ستة أعوام وأنا مذعور وخائف من أن يسرق أستاذى أبحاثى .. كنت أريد أن أبقيها سرية تمامًا ثم أعلنها للعالم بضربة واحدة . فجأة توصلت لاكتشاف فسيولوجى مذهل .. يمكن للمرء أن يجعل حيوانًا حيًا شفافًا .. وهنا تذكرت أننى أمهق .. جسمى خال من الصبغة ..

« هكذا نظرت من النافذة وقلت لنفسى : سوف أكون خفيًا . رحت أفكر فى معنى أن أكون خفيًا .. القوة والنفوذ .. وأنا مجرد معيد فقير يدرس الفيزياء لتلاميذ حمقى . لكم بذلت من جهد فى

هذا البحث وكم من عقبات ذللت .. لكن بعد ثلاث سنوات وجدت أن استكمال البحث مستحيل .... »

ــ « لماذا ؟ »

ــ « المال .... »

ثم نظر الرجل الخفى خارج النافذة ــ كما بدا من الروب ــ وقال :

ــ « كنت بحاجة للمال لاستكمال بحثى .. هكذا سطوت على الرجل العجوز .. أبى .. لم يكن المال الذى سرقته ماله ، فأطلق الرصاص على نفسه .. »

الفصل العشرون

البيت فى شارع بورتلاند

للحظات لزم كيمب الصـــمت . ثم نهض وأمسك بكم الرجل الخفى وقال :

ــ « أنت متعب .. تعال واجلس على مقعدى .. »

جلس جريفن صامتًا ثم قال بعد فترة :

ــ « كنت قد فارقت شيلستاو بالفعل .. اتخذت غرفة فى لندن فى بيت حقير قرب شارع بورتلاند ، ملأتها بالأجهزة .. لن أدخل بك فى التفاصيل يا كيمب ، لكنها مكتوبة بالشيفرة فى تلك الكتيبات . يجب أن أجد هذا الأحمق .. الفكرة المهمة هى وضع المادة التى نحاول خفض معامل انكسارها بين مركزين يشعان بالذبذبات . أحتاج إلى جهازى دينامو وقد حققت هذا بمحركى غاز رخيصين .. أول تجربة لى كانت على قطعة قطن أبيض ، وكان من المذهل أن تراها وهى تتلاشى .. لم أصدق أننى فعلت ذلك .. مددت يدى وتحسستها فكانت هناك كما هى .. هنا سمعت

صوت (مياو) فنظرت . وجدت قطة بيضاء جميلة وغاية فى القذارة تقف على النافذة . سمحت لها بالدخول فدخلت وهى تهر .. الحيوان المسكين كان يموت جوعًا . قدمت لها بعض اللبن ثم حاولت التجربة عليها .. لكن إعطاء العقارات لحيوان ليس لعبة وقد فشلت التجربة . لم أستطع إخفاء المخالب والصبغة فى شبكية عينها .. ما اسمها ؟ »

ـ « التيبتام .. »

ـ « نعم .. التيبتام .. عندما تمت التجربة وهى تحت تأثير المخدر ظلت عيناها مرئيتين .. هنا دق الباب . كانت امرأة عجوزًا تعيش فى الطابق السفلى .. امرأة مدمنة خمر لا تملك فى الحياة سوى قطة بيضاء . بللت قماشة ببعض الكلوروفورم وهرعت للباب . سألتنى : هل أسمع صوت قطة ؟.. قطتى ؟

« نفيت ذلك فراحت تختلس النظر إلى غرفتى من وراء كتفى .. وفى النهاية بدا أنها اقتنعت ورحلت ... »

ـ « كم من الوقت استغرق الأمر ؟ »

ـ « ثلاث ساعات .. العظـــام والأوتار والدهن هم آخر شىء تلاشى . كنت متعبًا لذا دخلت إلى فراشى وأوقفت المولدين . فى

الثانية صباحًا راحت القطة تموء .. حاولت أن أسكتها بلا جدوى .. لقد اختفت تمامًا فكان مشهد العينين الخضراوين وحدهما مرعبًا . فتحت لها النافذة فخرجت .. لم أرها بعد ذلك قط ... »

ـ « هل تعنى أن هناك قطة خفية طليقة ؟ »

ـ « ما لم تكن قد قتلت . على كل حال دق بابى وكان القادم صاحب البيت يتوعد ، وهو يهودى بولندى يؤكد أننى كنت أعذب قطة ليلاً والقوانين فى بريطانيا تحرم بشدة تشريح الحيوانات . دخل الغرفة يفتشها وهو يفحص كل شىء من وراء عويناته .. كنت أزداد غيظًا وارتباكًا خشية أن يستنتج شيئًا .. لماذا أنا بالذات ؟.. ماذا يريدون منى ؟.. فجأة أمسكته من الياقة فهرع خائفًا وأغلق الباب خلفه . المشكلة هى أنه سيحدث جلبة وأنا لا أعرف ما بوسعه أن يفعل . ترك البيت معناه ضياع وقت كثير كما أنه لم يبق لى فى العالم سوى عشرين جنيهًا . هكذا تحركت بسرعة .. أخذت كل مذكراتى وأشيائى المهمة وأرسلتها بالبريد إلى شارع بورتلاند ، ثم عدت لغرفتى .. كان هناك شىء يتحرك خارج الغرفة . بدأت بعمل الخطوات التى كنت أرتبها .. لقد حان الوقت لذلك .. بدأت التجربة ... هنا سمعت صوت خطوات خارج

الغرفة ورأيت قصاصة زرقاء تدخل تحت الباب . كان هذا إخطارًا
من صاحب البيت بطردى ، هنا فتحت الباب ليفاجأ بى أمامه ..
لم يجد وقتًا ليصاب بالذعر لأنه كان ينظر ليدى .. كنت أتوقع
هذا .. ثم رفع عينه إلى وجهى وأطلق صرخة رعب مريعة وفر
من أمامى ..

« عدت للغرفـــة وتفحصت وجهى فى المرآة .. كان أبيض
تمامًا . لقد بدأت التحولات . كانت مرعبة . قضيت ليلة كاملة
من الغثيان والألم .. كل جلدى كان يحترق بالنار . فهمت لماذا
ظلت القطة تموء حتى خدرتها بالكلوروفورم . عندما جاء الفجر
توقف الألم وحسبت أننى مت ... لن أنسى أبدًا هذا الفجر .. لقد
صارت يداى كالزجاج المصنفر ومع الوقت كانت تزداد شفافية
حتى صرت فى النهاية أرى غرفتى عبرهما . لقد تلاشت عظامى
وكانت الأعصاب آخر شىء اختفى . فى النهاية لم تبق سوى
أطراف أناملى . ونهضت للمرآة فلم أر شيئًا .. لا شىء سوى
بعض الصبغة فى شبكيتى ..

« بذلت جهدًا عنيفًا حتى أعود للجهاز وأستكمل العملية ..
ظللت فى الفراش حتى الظهيرة وقد جذبت الملاءات حتى ذقنى ،

وعند الظهر سمعت دقات على الباب . رددت بصوت عال ، ثم
نهضت بخفة ورحت أفكك جهازى وأبعثر محتوياته فى الغرفة
حتى لا يخمن أحد شكله الأصلى .. سمعت صوت صاحب البيت
ورجلين . فتحت النافذة .. هنا سمعت صوت قفل الباب يتحطم
لكنه لم ينفتح لأننى وضعت مزاليج ممتازة قبل أيام . لكن فكرة
الاقتحام جعلتنى أجن وبدأت أرتجف غيظًا .

« ألقيت ورقًا وقصاصات فى منتصف الغرفة ثم فتحت الغاز ..
بحثت عن ثقاب فلم أجد .. هكذا أغلقت الغاز ثانية وغادرت الغرفة
من النافذة ثم جلست هناك على الإطار أراقب ما يحدث . لقد حطموا
الباب وانتزعوه من مفصلاته ، ثم دخل صاحب البيت وولداه ..

« لك أن تتصور دهشتهم عندما وجدوا الغرفة خالية .. واقترب
أحدهم من النافذة لينظر عبرها فمنعت نفسى بصعوبة من أن أوجه
لكمة لوجهه القبيح . راحوا يتبادلون حوارًا طويلاً بلغة اليديش(*)
وفى النهاية استنتجوا أننى لم أرد عليهم إنما خدعتهم آذانهم . راحوا
يفتشون المدفأة وخزانة الثياب وتحت الفراش .. كانوا يشعرون
بخيبة أمل لأنهم لم يجدوا الأهوال التى توقعوا أن يروها عندى .

(*) اليديش لغة اليهود فى شرق أوروبا .

« فى هذه اللحظات عدت للغرفة ثم تسللت من الباب إلى الطابق السفلى . انتظرت حتى غادروا الغرفة ثم عدت لها حاملاً علبة ثقاب .. وأشعلت أوراقى الملقاة على الأرض ثم فتحت الغاز وودعت غرفتى لآخر مرة ..... »

هتف كيمب :

ـ « أحرقت البيت ! »

ـ « نعم .. وكان هذا السبيل الوحيد لأخفى أثرى . بالتأكيد كان مؤمنًا عليه .. هكذا هربت إلى الشارع غير مرئى .. رأسى يعج بالاحتمالات الشائقة لما يمكننى عمله .. »

الفصل الحادى والعشرون

فى شارع أكسفورد

عندما نزلت فى الدرج كانت هناك مشكلة لأننى لا أرى قدمى أثناء النزول . كذلك لم أكن أرى يدى عنـــدما أفتح المزاليج . برغم هذا كنت أشعر بنشوة كأننى رجل مبصر يلبس حذاء مبطنًا فى مدينة عميان . أردت أن أصفع الناس على أقفيتهم وأطير قبعاتهم ..

لكن ما إن بلغت شارع بورتلاند حتى بدأت أدرك أننى هش جدًا .. كنت عاريًا تمامًا والطقس بارد وقدماى تضربان الأسفلت الخشن ، وكان الجميع يصطدمون بى أو يدوسون على قدمى . لقد امتلأ جسدى بالكدمات فى دقائق . من الغريب أننى بعد كل هذا التدقيق لم أنتبه إلى أن الطقس ما زال يؤثر فى .

اتخذت قرارى فهرعت لأركب فى عربة أجرة ، ورحت أراقب شارع أكسفورد وطريق توتنهام .. عند مودى لوحت امرأة للعربة فتوقفت . وثبت من العربة فى الوقت المناسب قبل أن تجلس على ، وتفاديت بمعجزة حافلة كادت تصطدم بى . انطلقت

إلى ميدان بلومزبيرى بحثًا عن مكان هادئ . عند صيدلية فى الطريق برز كلب وتشمم الهواء ثم اندفع نحوى وهو ينبح . هذا أيضًا لم يخطر ببالى من قبل .. إن الأنف بالنسبة للكلب يلعب ما تلعبه العين لنا . راح ينبح فى اتجاهى فعبرت الشارع نحو طريق مونتاج .

سمعت موسيقا ورأيت موكبًا يحمل راية جيش الخلاص .. زحام يضرب الأسفلت وينشد .. لا يمكن أن أتوقع أن أخترقه . فررت إلى درجلت سلم منزل أمام المتحف وقفت هناك أنتظر حتى يمر هذا الموكب .

كاد الموكب يمر فعلاً ، عنـدما لاح مجموعــة من الصبيَة وجدتهم ينظرون للأرض ثم قال أحدهم :

ـ « انظروا !... هنا آثار أقدام حافية .. وآثار دم ! »

قال صاحبه :

ـ « هراء .. هذا روم .. خمر متساقط على الأرض .... »

لكن الصبى كان ينظر إلى قدمى بالضبط .. حيث تركت أثرًا حافيًا واضحًا على الغبار ، ومد يده حتى كاد يلمس قدمى .. فى

اللحظة التالية وثبت إلى السلم المجاور . لكن الصبى كان حاد النظر لدرجة أنه رأى انتقال آثار قدمى وبدا له هذا عجيبًا .. لقد بدا المارة يتجمعون ليروا ما ينظر له هؤلاء الصبية . هكذا انطلقت أركض فى الميــدان ورأى آثــار قدمى ســتة أو سبعة أصابتهم الدهشة . لكن قدماى كانتا تزدادان جفافًا لذا قلّت آثار أقدامى .. هكذا استطعت أن ألتقط أنفاسى وأبتعد .. الجرى جعلنى أستعيد شعور الدفء واستجمعت بعض شجاعتى ..

لكن الثلج بدأ ينهمر .. أصبت بالبرد وهكذا لم يعد ممكنًا أن أتحاشى العطس .. كذلك كنت أرتجف ذعرًا كلما قابلت كلبًا ..

« ثم سمعت الناس يصرخون ويتراكضون .. لقد كان هناك حريق .. الحريق الذى أشعلته فى مسكنى .. لقد اشتعل كل شىء هناك ما عدا ما أرسلته لشارع بورتلاند . لم يعد أمامى مجال للتراجع .. لقد أحرقت سفنى ..

هنا توقف الرجل الخفى عن الكلام ..

نظر له كيمب وقال :

ـ « استكمل قصتك .. »



الفصل الثانى والعشرون

فى المتجر الكبير

كانت هذه نهاية يناير مع بداية العواصف الثلجية .. لو هبط الثلج على لفضح أمرى . كنت أشعر ببرد ومرهقًا .. وقد بدأت هذه الحياة الجديدة بلا ملجأ ولا مخلوق يمكن أن أثق به .. حتى كدت أستوقف أى عابر سبيل لأحكى له قصتى وأضع نفسى تحت رحمته .

لكنى كنت أرى صفوف البيوت اللندنية متراصة مغلقة بإحكام أمامى ، وكنت أموت بردًا وأرغب فى أى ملجأ . لم يعد المستقبل سوى العاصفة القادمة والبرد .

ثم خطرت لى فكرة ممتازة .. اتجهت إلى طريق توتنهام خارج أومنيومس .. المتجر الكبير الذى يبيع كل شىء .. بقالة .. لحم .. أثاث .. ألوان زيت ..

كان المتجر موصدًا فوقفت بالخارج .. بعد قليل جاءت عربة وترجل رجل يلبس قبعة عليها شعار المحل ، وفتح الباب فتسللت

وراءه . كان هذا قسمًا يبيع القفازات والجوارب .. لكننى تركته وبحثت حتى وجدت قسمًا لبيع الأسرّة والمراتب فانتقيت فراشًا وأخلدت لنوم طويل .. وكان المكان دافئًا فقررت أن أبقى فيه أطول وقت ممكن . قررت أن أنتظر حتى يغلق المكان ثم أسرق بعض الثياب والمال والطعام . قررت أن ألفّ نفسى بالثياب لأبدو غريب الشكل لكن أبقى مقبولاً على الأقل .

جاء وقت الإغـــلاق .. لابد أنه لم تمر أكثر مـــن ساعة منذ اتخذت ملجئى عندما سمعت الحراس يخلون المكان . وراح عدد من الشبان ينظفون المعروضات .. مسحوا الأرض بالماء ثم ساد الهدوء التام ..

بحثت كثيرًا فى الظلام عن ثقاب .. فى النهاية وجدت واحدًا فى صندوق العملات . بحثت عن شمعة مما اضطرنى لتمزيق عدد من الصناديق المغلقة . وجدت لنفسى جوربين وسروالاً ومعطفًا وقبعة .. بدأت أشعر بأننى بشرى ثانية ..

فى الطابق العلوى كان هناك قسم الأطعمة ، فوجدت لحمًا باردًا وقمت بتسخين بعض القهوة . فى قسم الألعاب خطرت لى فكرة ممتازة .. وجدت لنفسى أنفًا مستعارًا وقررت أن أبحث عن

نظارة سوداء . فى النهاية عدت لأنام وسط الأسرّة شاعرًا بالدفء والراحة .

كانت حالتى المعنوية عالية .. سوف أخرج فى الصباح وقد وضعت بعض الضمادات على وجهى وفى جيبى مال .. لكننى فوجئت بعد قليل بمجموعة من الرجال فى المتجر مما جعلنى أضطر إلى التخلى عما سرقته من ثياب وفررت .. »

* * * *

قال الرجل الخفى :

ـ « يمكنك الآن أن تفهم العيــوب الكاملة لوضعى . لا مأوى .. لا ثياب .. الثياب تفقدنى أية مزايا لوضعى وتجعلنى مرئيًا ومثيرًا للشك .. الأكل معناه أن أملأ بطنى بطعام غير مهضوم .... »

قال كيمب :

ـ « لم أفكر فى هذا .. »

ـ « ولا أنا .. وقد أعطانى الجليد تهديدًا آخر .. المطر كذلك سوف يرسم حدودى بالماء . عندما مشيت فى شوارع لندن بدأ التراب يتجمع على كاحلى وهذا يعنى أنه بمرور الوقت سأصير

مرئيًا .. هكذا عدت إلى البيت الذى كنت فيه والذى أحرقته ، وبالطبع لم أكن أنوى الاقتراب .. مشكلتى الكبرى كانت العثور على ثياب .. ثم ماذا أفعل بوجهى ؟.. قصدت تلك المتاجر التى تبيع لوازم المسارح . كان على أن أكون حذرًا لأن كل مار كان يمثل خطرًا .. هناك من اصطدم بى فى شارع بدفورد فألقانى أرضًا تقريبًا تحت عجلات عربة مسرعة يجرها حصانان . جلست فى حدائق كوفنت ألتقط أنفاسى . وكان على أن أرحل سريعًا لأننى أصبت بالبرد وبدأت أعطس مما يلفت الأنظار . فى النهاية وجدت ضالتى فى متجر قذر عند زقاق (درونى) امتلأت واجهته بالحلى الزائفة والإكسسوارات . نظرت من النافذة فلم أر أحدًا .. فتحت الباب فدق الجرس . دخلت .. وسمعت قدمى رجل ثقيلتين يلبى صوت الجرس . لو أننى تواريت فى البيت وتمكنت من سرقة جمة ونظارة وزيًا .. كان الرجل قصيرًا ، ويبدو أنه كان يتناول طعامه عندما قرع الجرس .. راح يتفحص المحل فى دهشة ثم قال :

ـ « تبًا للصبية ....!... »

وركل الباب وعاد للداخل فمشيت خلفه .. توقف للحظة عندما سمع حركتى فتصلبت وقد أذهلتنى حدة سمعه . عاد يبحث فى

المحل وخلف الكاونتر .. كان الباب الداخلى مفتوحًا فدلفت منه . كانت غرفة صغيرة علقت على جدرانها بعض الأقنعة ، وعلى المنضدة إفطاره الذى لم ينهه . ووقفت أراقبه وقد عاد للغرفة وراح يواصل الإفطار بفظاظة ، وكتمت عطستى مرة أو مرتين ..

غادر الغرفة حاملاً بقايا الطعام فجلست أمام النار .. كانت ضعيفة فلم أفكر كثيرًا وألقيت فيها بعض الفحم . كان لهذا صوت جعله يأتى مسرعًا . راح يمسح الغرفة بعينيه وأوشك أن يصطدم بى . لم يبد عليه الرضا ..

ظللت أنتظر دهرًا كاملاً حتى فتح الباب ونزل فى الدرج فمشيت خلفه .. توقف فجأة فى منتصف الدرج فكدت أضربه من الخلف . كان ينظر خلفه وتحسس شفته السفلى وقال :

ـ « بوسعى أن أقسم أن .... »

كان يدرك يقينًا أن هناك صوتًا خافتًا خلفه طيلة الوقت . لا شك أنه كان يملك حاسة سمع شيطانية . لقد توقف وصاح فى غضب :

ـ « لو كان هناك مخلوق فى هذا البيت .... »

لم يكمل القسم ، لكنى جلست على قمة الدرج ولم أتبعه أكثر . عندما عاد للغرفة رحت أستكشف البيت .. كان رطبًا لدرجة أن

ورق الجـــدران تقشر بالكامل وصنعت الفئران لنفسها جحورًا وراءه . بعض مقابض الأبواب كانت متخشبة بحيث خشيت أن أفتحها . وجدت ثيابًا قديمة فى إحدى الغرف فرحت أنقب فيها ، هنا نسيت حدة أذنيه . فى الوقت المناسب رفعت رأسى لأجده يطل من الباب وفى يده مسدس . تصلبت بينما قال هو :

ـ « لابد أنها هى .. عليها اللعنة ! »

ثم أغلق الباب وأدار المفتاح فيه !.. هنا فطنت إلى أننى صرت سجينًا . لم أدر ما أفعل .. شعرت بغضب عارم وأصدرت أصواتًا جعلته يعود للغرفة .. هذه المرة لمسنى فعلاً .. هذه اللمسة جعلته يصاب بذهول فوقف فى منتصف الغرفة . وراح يردد :

ـ « فئران ! »

هرعت مغادرًا الغرفة ، لكن الرجل الشيطانى راح يفتش غرفة تلو أخرى من البيت والمسدس فى يده ، وهو يغلق كل غرفة بالمفتاح بعد تفتيشها . هكذا لم يعد لدى من خيار سوى أن أضربه على رأسه .. »

تساءل كيمب :

ـ « ضربته على رأسه ؟ »



— « نعم .. ضربته على مؤخرة رأسه بمقعد فتهاوى أرضًا كحقيبة مليئة بأحذية قديمة . بعد هذا كممته وقيدت يديه .. لم يكن لدى خيار سوى مغادرة هذا البيت وعلى ثياب .... »

— « لكن .. الرجل كان فى بيته .. وأنت كنت معتديًا ولصًا .. »

— « كف عن هذا السخف يا كيمب .. أنت ترى وجهة نظرى .. »

— « ووجهة نظره كذلك .. »

— « كان يحمل مسدسًا وقـد أفقـدنى أعصابى . فلا أحسبك تلومنى . فى الطابق السفلى وجدت رغيفًا وبعض الجبن والماء .. وذهبت للغرفة التى كانت فيها الثياب القديمة .. ألقيت نظرة عبر النافذة على الشارع فوجدته ساطعًا بالشمس .. عدت أنظر للبيت لأجد بقع ضوء فى كل مكان أمام عينى . بدأت أبحث فى البيت عن شىء يناسبنى .. كانت هناك مساحيق يمكن أن أدهن بها وجهى ، لكن كانت هناك مشكلة أن إزالتها تحتاج إلى زيت تربنتينا ووقتًا طويلاً إذا أردت أن أختفى ثانية . فى النهاية اخترت قناعًا له أنف وشعر وعوينات .. كان حذاءا الرجل صالحين ، ووجدت بعض النقود الذهبية .. هكذا صرت جاهزًا للخروج ، لكنى رحت أتفحص وجهى فى المرآة كى أجد شيئًا منسيًا .. هل منظرى قابل للتصديق فعلاً ؟

غادرت المتجر أخيرًا عندما وجدت الشجاعة لذلك ، وتركت الرجل يحاول الفرار من قيوده . خلال خمس دقائق اصطدمت بدستة من المارة ولم يبد أن أحدهم لاحظ شيئًا غريبًا فى منظرى .

حسبت أننى انتصرت .. صار بوسعى عمل أى شىء فى أى مكان .. فإذا ما تعقدت الأمور كل ما على هو نزع ثيابى وقناعى وأفر . قررت أن أذهب لمطعم وأنال وجبة دسمة .. من المؤسف أن أقول إننى كنت حمارًا . لقد دخلت مطعمًا وطلبت الغداء ، ثم تنبهت إلى أننى لا أستطيع الأكل ما لم أكشف عن وجهى الخفى . هكذا غادرت المطعم قبل أن تصل الوجبة . ذهبت لفندق وطلبت أن يقدموا لى الطعام فى غرفتى وقلت : أنا مشوه بشدة .

رحت أفكر فى غرابة موقفى .. لا شك أن كونك خفيًا يتيح لك الحصول على أشياء كثيرة ، لكنه كذلك يجعل من المستحيل أن تستمتع بها .. لقد صرت لغوًا ملفوفًا بالضمادات كأننى كاريكاتور إنسان .... »

وصمت ، وبدا من وضعه أنه ينظر خارج النافذة ، فسأله كيمب :

— « ولكن كيف وصلت إلى إيبنج ؟ »

ـ « ذهبت هناك لأعمل .. كانت نصف فكرة واكتملت .. أردت أن أعكس ما قمت به متى أردت وأعود مرئيًا .. وهذا ما أريد أن أتكلم فيه معك الآن .. ذهبت إلى أيبنج مع مذكّراتى الثلاث ودفتــر الشيكات ومتاعى وبعــض الكيماويات .. وبدأت الحسابات .. لقد فقدت أعصابى مع هؤلاء الحمقى وكدت أقتل ذلك الكونستابل . لِمَ لا يتركوننى وشأنى ؟..

بالله يا كيمب .. أنت لا تعرف معنى الغضب !.. أن تخطط وتدرس لأعوام ، ثم يأتى أبله يعبث ويفسد خططك .. لقد وقف فى طريقى كل مخلوق غبى يمكن تصوره .. »

قال كيمب فى جفاف :

ـ « لابد أن هذا مزعج فعلاً .. »

الفصل الثالث والعشرون

الخطة التى فشلت

قال كيمب وهو ينظر خارج النافذة :

ـ « ماذا سنفعل ؟ »

ودنا من ضيفه وهو يتكلم ، كي يمنعه من رؤية ثلاثة الرجال الذين يصعدون عبر التل ببطء شديد .

ـ « ما هى خطتك التى جئت من أجلها ؟ »

ـ « كنت أنوى مغادرة البلاد لكنى غيرت خطتى لما رأيتك .. الآن صار الجو حارًا ومن الممكن أن أظل خفيًا .. سوف يبحث الجميع عن رجل مربوط بالضمادات لذا فكرت فى الفرار إلى أسبانيا أو ركوب سفينة إلى فرنسا .. وربما إلى الجزائر .. هناك يسهل على الرجل أن يظل ملثمًا .

كنت أستعمل ذلك المتشرد كحقيبة تحمل متاعى .. لكنه سرقنى .. سرق مذكّراتى .. لو وضعت يدى عليه !.. هل تعرف أين هو ؟ »

ـ « هو فى قسم الشرطة .. مسجون بطلبه الخاص فى أقوى زنزانة .. »

ـ « اللعنة .. لابد من الحصول على هذه الكتب .. هذه الكتب جوهرية .... »

ـ « حتمًا .... »

قالها (كيمب) فى عصبية وهو يتساءل إن كان يسمع صوت خطوات . حاول أن يفكر فى شىء آخر ليبقى المحادثة مستمرة .

هنا قال الرجل الخفى :

ـ « لم تخبر أحدًا أننى هنا .. »

قال كيمب :

ـ « هذا مفهوم .... »

نهض الرجل الخفى وعقد يديه على صدره وقال :

ـ « المشكلة يا كيمب .. هى أننى حملت هذا العبء الرهيب على كتفى . رجل واحد يحمـل كل هـذا السر .. أنا أريد من يعاوننى يا كيمب .. أريد حارس مرمى .. مكانًا أتوارى فيه .. أريد مكانًا أنام فيه وآكل . يجب أن تعرف مزايا وعيوب هذه الحالة الخفية .. مزاياها هى أنك قادر على الدنو والابتعاد دون أن يشعر بك أحد .. هذا يجعلك قادرًا على القتل .. مهما كان الرجل يحمل من سلاح فأنت قادر على الالتفاف حوله وضربه على رأسه .... »

كان كيمب يتحسس شاربه ويصغى .. هل هذا صوت حركة بالطابق العلوى ؟

قال الرجل الخفى :

ـ « القتل .. القتل هو ما يجب أن نقوم به .. هل تسمعنى ؟ »

ـ « أسمعك لكن لا أوافق .. »

ـ « القتل يا كيمب .. على الرجل الخفى أن يخلق مملكة من الرعب .. يجب أن يسيطر على مدينة كهذه .. قصاصات ورق تحت الأبواب .. من لا يطيع أوامره يقتل .... »

وفجأة تصلب الرجل الخفى ، وصاح :

ـ « صه !.. من هذا بالطابق السفلى ؟ »

قال كيمب بصوت عال :

ـ « لا أحد .. لا أوافقك على ما تقول يا جريفن .. لماذا يجب أن تلعب الذئب الوحيـد ؟.. انشر أبحاثك واجعل العالم يعترف بعبقريتك .... »

لكن الرجل الخفى قاطعه :

ـ « هناك خطوات بالطابق السفلى .. »

ـ « كلام فارغ .. »

لكن الرجل مشى نحو الباب وراح يصغى ..

اتجه نحوه كيمب ، هنا صاح الرجل الخفى :

ـ « خائن ! »

وفى لحظة انفتح الروب وظهر الجسد الخفى من تحته .

جاء صوت أقدام من أسفل فركض كيمب وفتح الباب . اندفع للخارج وكان المفتاح فى الباب . سوف يغلق الباب وفى لحظة سوف يصير جريفن سجينًا . فقط كان هناك خطأ واحد .. لم يكن المفتاح موضوعًا جيدًا لذا عندما أغلق كيمب الباب سقط المفتاح على الأرض .

شحب وجه كيمب وحاول أن يمسك المقبض بكلتا يديه . انفتح الباب قليلاً لكنه أغلقه ثانية .. فى المرة التالية انفتح الباب بقوة وخرج منه الروب ..

شعر بأصابع غير مرئية تطبق على حنجرته . سقط أرضًا وجثم الروب فوقه .

عبر الدرجات ظهر الكولونيل أديى الذى تلقى رسالة كيمب . كان مذهولاً بسبب مشهد الروب الخالى الذى يهاجم كيمب . رأى كيمب يقاوم ويسقط ويحاول النهوض .. وفجأة تلقى ضربة عنيفة .. من لا شىء !

سقط بدوره من فوق الدرجات .. داست قدم على ظهره وسمع شرطيين يصرخان ويركضان .. وانغلق الباب الأمامى فجأة . نهض وجلس ينظر حوله .. رأى كيمب على الدرجات متربًا متورم الوجه . وشفته تنزف ..

صرخ كيمب :

ـ « رباه !.. لقد بدأت اللعبة !.. لقد فر ! »

الفصل الرابع والعشرين

اصطياد الرجل الخفى

لفترة طويلة فقد كيمب القدرة على النطق ليشرح ، وبدأ الكولونيل أديى يستخلص أشياء من الموقف .

قال كيمب :

ـ « هو مجنون .. أنانيته مطلقة .. لا يفكر سوى فى منفعته وسلامته . لقد جرح أبرياء وكاد يقتلهم . لا شىء يوقفه وهو الآن حر ! »

ـ « يجب اعتقاله .. »

ـ « الأمر أخطر مما تظن .. إنه يريد أن يقيم مملكة من الرعب .. سوف يجوب الريف يقتل ويشوه .. هناك رجل قبضتم عليه اسمه مارفيل .. إنه يريده .. يجب إغلاق المنازل جميعًا ومراقبة الأطعمة .. إنه خطر .. كارثة .... »

هبطا إلى الطابق السفلى حيث كان الباب مفتوحًا ورجل شرطة يقف هناك يرمق الهواء . وقال :

ـ « لقد فر يا سيدى .. »

قال الكولونيل أديى :

ـ « يجب أن نقصد المحطة حالاً .. ثم ماذا يا كيمب ؟ »

ـ « الكلاب .. هات كلابًا .. »

ـ « حسن .. وغير هذا ؟ »

ـ « بعد التهام الطعام يظل الأكل واضحًا فى معدته .. لذا لابد أن يتوارى بعد الأكل .. يجب أن نرش زجاجًا مسحوقًا على الطرقات . هذا قاس لكن فكر فيما يمكنه عمله .. »

قال الكولونيل أديى :

ـ « هــذا سلوك غيــر رياضى .. لكنى ســأعد المسحوق لو احتجنا له .. »

قال كيمب :

ـ « إنه لم يعد بشريًا .. يريد أن يقيم مملكة من الرعب .. أنا أعرف ما أقول ومتأكد منه .. فرصتنا الوحيدة هى أن نسبقه .. لم يعد له علاقة بالجنس البشرى ، ودمه يقع على رأسه هو .. »

الفصل الخامس والعشرون

اغتيال ويكستيد

يبدو أن الرجل الخفى غـادر بيت كيمب وقد أعماه الغضب . كان هناك طفل يلعب جوار بيت كيمب حمله وألقاه بعيدًا ، فتهشم كاحله . ثم اختفى تمامًا لعدة ساعات .

لقد راح يركض فى شمس يونيو الحارة حتى الأرض المفتوحة خلف بورت بوردوك ، وهو يغلى غيظًا . ثم فى النهاية يجلس وسط أشجار هنتوندين ليعيد ترتيب خططه . لا نعرف ما كان يدور فى ذهنه .. بالتأكيد كـان غاضبًا من خيانة كيمب .. ربما استطعنا فهم السـبب لكن لابد أن نتعاطف مع غضبته بسبب هذا الاكتشاف المفاجئ . على كـل حال لا أحـد يعرف ما فعله حتى الثانية والنصف .

فى هذا الوقت كان الريف يعج بأناس يبحثون . قبل هذا كان مجرد أسطورة مخيفة .. لكن بعد كلمات كيمب صار عدوًا ماديًا يجب إصابته أو قتله .

فى الثانية بعد الظهر صار من المستحيل عليه أن يغادر المنطقة حتى لو تسلق قطارًا . لقـد تم إغـلاق أبواب كل القطارات بين ساوثهامبتون وهورسهام وبرايتون . تم كذلك وقف قطارات البضاعة .

وانتشر الرجال فى دائرة 20 ميلاً حول بورت بوردوك فى مجموعات من ثلاثة أو أربعة ومعهم كلاب . فى الريف انتشر رجال الشرطة على الخيول ، وراحوا يوصون الناس بغلق الأبواب .. لقد انتشرت تعليمات الكولونيل أديى فى كل مكان . كان الجميع فى حالة رعب من قدوم الظلام .

ثم قرب المساء انتشرت قصة مقتل مستر ويكستيد . لو افترضنا أن الرجل الخفى توارى فعلاً فى غـابة هنتوندين ، فإن لنا أن نفترض أنه غادر مكانه وهو يحمل قضيبًا من حديد .. عندما قابل مستر ويكستيد . كل شىء يدل على صَراع عنيف تم هناك .. الجروح على جسد ويكستيد وعصاه المكسورة .. لا نعرف سبب القتل لذا تظل نظرية الجنـون هى الأقرب للصحة . لقد هاجمه الرجل الخفى وهـو فى طريقـه لداره لتناول الغداء .. ضربه بعصا حديدية انتزعها من سور وحطم ذراعه وهشم رأسه . هناك طفلة رأت ويكستيد وهو يجرى فوصفته كشخص يبحث عن شىء على الأرض بلهفة ويضربه بعصاه بلا توقف .

يمكننا إذن أن نتخيل أن الرجل الخفى كان يتقدم نحو هدفه ، عندما فوجئ بهذا الرجل يبحث عنه .. ثم اصطدم به فعلاً . يمكن تخيل ما حدث بعد ذلك .

على كل حال وجدوا جثة ويكستيد وقضيبًا من الحديد الملطخ بالدم . هذا يدل أن حالة جريفن العصبية تحسنت بعد هذا . كان قاسيًا لكن يبدو أن منظر ضحيته الأولى الغارقة فى الدم ، قد حرك شيئًا من الرحمة والندم فى نفسه .

لابد أن الرجل الخفى فى تلك الليلة عرف حقيقة الاستفادة التى حققها كيمب من ثقته به .

لابد أنه وجد الأبواب موصدة ومؤمنة .. لابد أنه بحث فى محطات القطارات ولابد أنه قــرأ الإعلانات والتحذيرات . ومع توغل المساء ازدحمت الحقول بالرجال فى مجموعات من ثلاثة وأربعة وتعالى نباح الكلاب . يمكننا أن نفهم سبب ضيقه وحنقه ، خاصة كلما تذكر أنه مصدر المعلومات التى أدت لعملية الصيد القاسية هذه . لقد صار رجلاً مطاردًا .

لكن لابد أنه نام وأكل . وعندما صحا فى النهار كان قد استعاد لياقته وغضبه وخطورته ، وتهيأ لمعركته الأخيرة مع العالم .

الفصل السادس والعشرون

حصار بيت كيمب

قرأ كيمب رسالة غريبة كتبت على قطعة ورق مبقعة :

ـ « أنتِ كنت بارعًا وإن كنت لا أعرف ما سوف تحققه هكذا . أنت ضدى .. وقد ظللت ليلة كاملة تطاردنى . لكننى برغمك نمت ووجدت طعامًا .. اللعبة قد بدأت .. وقواعدها هى الرعب . هذا إعلان عن أول يوم من الرعب .. لم تعد بورت بردوك تحت حكم ملكة بريطانيا بل هى تحت حكمى أنا .. الرعب !..

« اليوم هو اليوم الأول من العام الأول من العهد الجديد .. عهد الرجل الخفى . أنا الرجل الخفى الأول وحكمى له قواعد بسيطة .. سيكون هناك إعدام واحد على سبيل العبرة ، لرجل اسمه (كيمب) . هذا الرجل يموت اليوم . يمكنه أن يغلق بابه ويلبس دروعًا ويعين حراسًا حوله ، لكن الموت قادم لا محالة .. سوف يبدأ الموت ظهرًا من صندوق الخطابات حين يحضر ساعى البريد .. سوف تبدأ اللعبة والموت . لا تساعدوه يا شعبى فلسوف يموت اليوم .. »

قرأ كيمب الخطاب مرتين وقال :

ــ « لا خداع هنا .. هذا كلامه وهو يعنيه .. »

على المظروف وجد علامة مكتب بريد (هتنون دين) مع عبارة (المستلم يدفع التكاليف) . كف عن تناول طعام الغداء .. لقد جاء الخطاب مع بريد الواحدة ظهرًا ..

نادى مدبرة المنزل وطلب منها أن تتفقد البيت وتتأكد من أن النوافذ محكمة . بحث فى درج فى غرفة نومه وانتقى مسدسًا صغيرًا دسه فى جيب سترته ..

كتب رسالة للكولونيل أعطاها لخادمته وأوصاها بأن تحملها وأكد لها :

ــ « لا خطر عليك أنت .... »

ثم عاد يلتهم غداءه .. وفجأة ضرب المنضدة وصاح :

ــ « سوف نظفر به !.. أنا الطعم الذى سيجعله يتمادى .. »

ذهب لغرفة نومه وأغلق الأبواب وقال لنفسه :

ــ « إنها لعبة .. لكن جريفن لن يربحها .. »

دنا من النافذة فاحتك شىء بإطارها مما جعله يتراجع للخلف :

ــ « أنا عصبى ... لابد أن هذا عصفور ... »

هنا دق الجرس فهرع للباب السفلى .. أزاح المزلاج ثم وضع السلسلة وفتح الباب بحذر دون أن يكشف عن نفسه . كان هذا هو الكولونيل أديى .

قال له :

ــ « لقد هوجمت خادمتك .. »

صاح كيمب :

ــ « ماذا ؟؟.. »

ــ « إنه قريب .. دعنى أدخل .. »

دخل الكولونيل أديى من فتحة ضيقة قدر الإمكان ... ووقف فى الردهة . قال كيمب :

ــ « أنا أحمق .. كان يجب أن أعرف !.... »

ثم هرع إلى المكتب وناول الكولونيل خطاب الرجل الخفى . ثم قال له :

— « خطابى أنا لك كان يقترح عمل كمين .. وكأحمق أرسلته لك مع خادمة .. »

هنا دوى صوت زجاج يتهشم بالطابق العلوى .. فصاح كيمب :

— « نافذتى .. الطابق العلوى ! »

هرعا إلى المكتب ليجدا الغرفة غارقة بالزجاج المحطم . هناك قطعة حجر استقرت على المكتب .. أطلق كيمب سبة إذ طار زجاج نافذة أخرى .

تساءل الكولونيل :

— « ما معنى هذا ؟ »

— « هذه فقط البداية .. »

— « هل توجد طريقة للتسلق هنا ؟ »

— « حتى القطط لا تقدر .. »

— « لا مصاريع ؟ »

— « فى الطابق السفلى فقط .. »

هنا تهشمت نافذة أخرى . قال الكولونيل أديى :

— « اسمع .. سوف أذهب للمخفر وأحضر مجموعة من الكلاب .. هل معك مسدس ؟ »

— « ليس معى واحد إضافى .... »

— « أعطنى إياه ولا تقلق .... »

هرع الكولونيل أديى إلى الباب بينما المزيد من الزجاج يتهشم . وانزلق للخارج بسرعة ثم وقف وظهره للباب للحظات .. وراح يعبر الحديقة ..

هنا تحرك العشب جواره وسمع من يقول له :

— « قف ! »

تصلبت أعصابه كلها .. ووقف شاحبًا ويده على المسدس .. الصوت على اليسار .. ماذا لو جرب حظه وأطلق الرصاص ؟

قال الصوت :

— « ماذا تفكر فيه ؟ .... »

وهنا شعر بيد تطبق على عنقه ، ثم تلقى ظهره ركبة جعلته ينثنى للخلف . جذب المسدس وأطلق الرصاص بشكل أخرق ..

تلقى لكمة فى فمه وانتزع المسدس من يده . ووجد الكولونيل نفسه يحدق فى مسدس طائر فى الهواء .

قال الصوت ضاحكًا :

ــ « لولا ما فى ذلك من خسارة رصاص لقتلتك الآن .. انهض .... »

وقف الكولونيل فقال الصوت بتوحش :

ــ « لا ألاعيب .. تذكرك أننى أراك وإن لم ترنى .. يجب أن تعود للمنزل .. »

ــ « لن يفتح لى .. »

ــ « هذا مؤسف .. تذكر أننى لا أحمل لك ضغينةً ما ! »

كان كيمب قد رأى هذا المشهد من نافذة المكتب .. رأى الكولونيل يتكلم مع شخص غير مرئى فى الحديقة ، وتساءل :

ــ « لِمَ لا يطلق الرصاص ؟ »

هنا رأى المسدس المعلق فى الهواء وفهم ما يدور .

فى هذا الوقت بدأ الكولونيل يمشى نحو البيت ببطء ويداه خلف ظهره . ورأى كيمب المسدس يتبع الرجل . كان الكولونيل

قد اتخذ قراره .. استدار بسرعة ووثب على المسدس لكنه أخطأه .. وانطلق دخان أزرق فى الهواء .. لم يسمع كيمب الطلقة لكنه رأى الرجل يسقط أرضًا . ينهض على ذراع واحدة ثم يهمد .

راح كيمب يبحث عن المسدس لكنه اختفى تمامًا .. هذه بداية طيبة للعبة .

كل شىء كان ساكنًا وكان القيظ شديدًا .. لا شىء يتحرك سوى الفراش ..

بدأت دقات تدوى على الباب .. لكن الخدم لم يردوا منفذين تعليمات كيمب . تسلح بمحرك نار ونزل ليمر على الأبواب جميعًا .. بدأ المنزل يرتج بضربات قوية توشك على اقتلاع الأبواب .. وبدأ الخشب يتحطم .

نزل إلى المطبخ ليجد أن المصراع يتهشم ..

هناك فأس يهوى على أجـزاء المصراع .. وفجـأة رأى المسدس عبر الفتحة ..

تراجع للخلف لكن المسدس أطلق طلقة واحدة مرت جواره ..

بسرعة غادر المطبخ وأغلق الباب ، وسمع جريفن يصرخ ويضحك ..

ماذا يفعل ؟.. هذه الأبواب لن تؤخر الرجل الخفى أكثر من لحظة ..

سمع دقة الجرس من جديد فعرف أنهم رجال الشرطة . ركض إلى هناك وفتح الباب ليندفع ثلاثة رجال الشرطة للداخل ..

قال كيمب :

ـ « الرجل الخفى .. بقيت معه طلقتان وقد قتل الكولونيل أديى .. ألم تروه ؟ »

ـ « جئنا من الطريق الخلفى .... »

هنا سمعوا باب المطبخ يتهشم فهرع يناول محراك نار لكل واحد من رجال الشرطة . صرخ رجل شرطة عندما هوى الفأس على المحراك الذى يحمله ، لكن الثانى هوى على الفأس فأسقطه على الأرض ، كأنه يقتل دبورًا ..

وسمعوا الرجل الخفى يلهث ..

ـ « ابتعدوا .. لا أريد سوى هذا الرجل كيمب .... »

ـ « ونحن نريدك أنت .... »

قالها رجل الشرطة الثانى ..

هنا ارتفع الفأس من على الأرض فجأة وهوى على خوذة رجل الشرطة فأرسله إلى الأرض بلا حراك . ضرب رجل الشرطة الثانى شيئًا خلف الفأس فارتطم محراك النار بشىء طرى وسمع أنينًا .. وسقط الفأس فداس عليه رجل الشرطة ووجه ضربة أخرى .

نهض صاحبه الذى أغرق الدم وجهه وعينيه وتساءل :

ـ « أين هو ؟ »

ـ « لا أعرف .. فقط متأكد من أننى ضربته .... »

هرع الرجلان نحو غرفة الطعام فلم يجدا أحدًا ولم يجدا كيمب .. كانت النافذة مفتوحة ..

ـ « إن د . كيمب لبطل .. »

قالها رجل الشرطة ولم يدر كم كان صادقًا ...



الفصل السابع والعشرون

صـيد الصياد

كان مستر هيلاز أقرب جيران كيمب نائمًا عندما دارت هذه المطاردة ..

كان من القلة التى أبت تصديق كل هذا الهراء عن الرجل الخفى . لذا نام أثناء تحطم النوافذ لكنه صحا فجأة شاعرًا بشىء غير صحيح . نظر إلى بيت كيمب وفرك عينيه . وأطلق سبة ..

كل نافذة فى بيت د. كيمب قد تهشمت . ورأى د. كيمب نفسه يغادر البيت من نافذة غرفة الطعام وهو يركض وقد حنى رأسه كأنه يخشى أن يراه أحد . ثم راح يركض عبر المنخفض نحو بيت مستر هيلاز .

هنا صاح مستر هيلاز :

ـ « رباه !.. ليس الرجل الخفى !.. إذن هو حقيقى ! »

وهرع يغلق النوافذ والأبواب . هنا برز رأس كيمب عند سور الحديقة وراح يشق طريقه وسط نباتات الأسباراجس .. ثم عبر ملعب التنس نحو البيت .

ـ « آسف .. لا يمكنك الدخول لو كان هذا الشىء يطاردك .. »

دار كيمب حول الأبواب يقرعها جميعًا بلا جدوى .. ثم راح يركض .. ورأى مستر هيلاز من مخبئه أقدامًا خفية تدوس على نباتات الأسباراجاس ..

لقد كان كيمب يركض بالضبط عبر التل فى ذات المسارات التى كان الرجل الخفى يجرى فيها منذ أيام . كان يفتقر للياقة الرياضية لكن برغم أن وجهه كان شاحبًا ، فإن عقله لم يتخل عنه .

لم يفطن قط من قبل إلى أن طريق التل منعزل والمدينة تحته بعيدة جدًا .

كل البيوت التى مر بها مغلقة بإحكام .. بالتأكيد طبقًا لأوامره .. لكن ألا ينظر أحدهم من النافذة ؟.. إنه يرى المدينة تحت ويرى تراما .. وخلف هذا كله يرى قسم الشرطة ..

مر بالترام وفكر فى ركوبه وإغلاق الأبواب ثم عدل عن الفكرة .. الأفضل أن يجرى حتى يبلغ قسم الشرطة ..

يسمع صوت الركض من خلفه .. وقد بدأ الناس يفطنون لهذه المطاردة العجيبة ..

صرخ بأعلى صوته الذى أنهكه الجهد :

ــ « الرجل الخفى !! »

رأى الناس يهرعون وقد حمل بعضهم العصى .. ومن حانة فى الطريق برز رجل وقد كور قبضته .. أدرك أن المطاردة قد تبدلت ..

هنا تلقى ضربة قوية على أذنه .. ركل ركلة عمياء فى الهواء . هنا تلقى ضربة فى الفك ... وتشبثت مخالب بعنقه . شعر بساعدين يطبقان عليه فمد يده يمسك بهما بقوة .. سمع صرخة عنيفة .. هنا برز بعض الرجال ووجه أحدهم ضربة قوية عمياء فى الهواء . هنا شعر باليدين تتخليان عنه ..

ارتمى على الجسد الخفى وصرخ :

ــ « إنه فى قبضتى .. الغوث !.. الغوث ! »

جاء بعض الرجال وألقوا بأنفسهم على هذا الشىء ..

بذل الرجل الخفى جهدًا عظيمًا لينهض .. فانقضت عليه الأيادى التى لا ترى . كان هناك الكثير من الركل المتوحش . وتصاعد صوت مخنوق يقول :

ــ « الرحمة !.. الرحمة ! »

فهتف كيمب :

ــ « دعوه يا حمقى .. إنه يموت ! »

ثم مد يده يتحسس الجسد .. وألصق أذنه بشىء ما بينما الناس يحتشدون فى دائرة ..

ــ « هو لا يتنفس .. لا أسمع دقات قلبه ... إن فمه مبلل بالكامل .. »

صرخت امرأة عجوز وهى تشير بإصبع مجعدة :

ــ « انظروا ! »

رأى الجميع شرايين وأوردة شفافة كأنها من زجاج .. وبدأت تزداد قتامة مع الوقت .

مع الوقت بدأ هذا التغيير البطيء يحدث .. يكتمل .. كأنه الانتشار البطيء لسم . ظهرت العظام ثم بدأ الجلد يظهر ..

ورأى الناس الوجه المشوه .. والصدر الذى تحطم . أخيرًا ظهر على الأرض جسد عار لشاب فى الثلاثين . أمهق شعره وحاجباه لونهما أبيض .. عيناه جاحظتان .. فصاح أحد الواقفين :

ـ « بالله عليكم ... غطوا وجهه .. »

وجاء بعض الصبية ليلقوا نظرة فأبعدهم الواقفون .

هناك كان جريفين أول إنسان جعل نفسه خفيًا ، وأكثر علماء الفيزياء عبقرية ، يرقد وسط هؤلاء الدهماء والجهلة .

هـ . ج . ويلز

1897



مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

73



الرجل الخفى

هناك أعمال أدبية حُفرت للأبد ، ليس فى تاريخ الأدب فقط ، بل فى وجدان البشر أنفسهم ، وصارت جزءًا من خلفيتهم الثقافية فى كل مكان . هذه الرواية التى قدمها هـ . ج . ويلز عام ١٨٩٧ قد نالت حظها كاملاً من استمتاع القراء والمعالجات السينمائية والمناقشات العلمية ، ومهما تعددت معالجات صيغة الرجل الخفى وازدادت براعة وتعقيدًا ، فكلها خرجت من عباءة هذه الرواية ، كما خرجت كل الألعاب الزمنية من عباءة روايته (آلة الزمن) . إنها بالتأكيد رواية تستحق القراءة .

العدد القادم

أفضل قصص الأشباح

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



